الاطباء.. الادباء

الدكتور فخري الدباغ

دار الشؤون الثقافية العامة

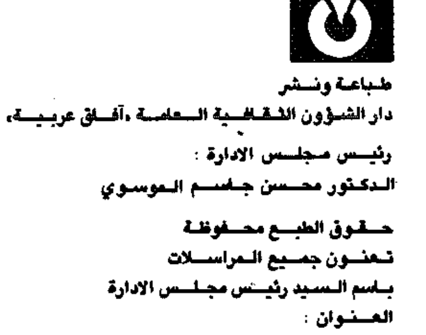
اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 20 / ذو القعدة / 1444 هـ
الموافق 09 / 06 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائي





بغداد ١٩٩٠



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الاطباء .. الادباء

الدكتور فخري الدباغ

الطبعة الاولى ـ لسنة ١٩٩٠

مقدمـــة

عزيزي القارىء الكريم ...

لا أنكر انني عزمت على اصدار هذا الكتاب لأنني طبيب احب الأدب وأمارسه احيانا ، لكن ذلك ليس الدافع الوحيد ، اذ افترضت ان احد الادباء او الباحثين سيقدم يوماً ما على الكتابة عن «الاطباء ـ الادباء» لان اسهاماتهم في مجالات الشعر والقصة والمسرح والرواية تحتل جزءاً لايستهان به من الأدب العالمي والذخيرة الفكرية للانسان منذ اقدم العصور وحتى يومنا هذا ... ، فلماذا اذا ، لا أؤدي هذه الخدمة لزملائي ؟ ....

ولقد لفت نظري بادىء الامر اولئك الاطباء الذين قضوا سنوات شاقة في دراسة الطب ثم اتجهوا الى الأدب كلية بعد كد وسهر ، خاصــة وأن الطب من الدراسات المتـطورة العميقة والمتشعبة التي يصعب ان يتخلى عنها من حصل عليها بعد عناء ...

كذلك استحوذ على اعجابي الآخرون من الاطباء الذين احتفظوا بمهنة الطباعة ومارسوا الكتابة في الوقت نفسه دون المساس بكفاءة مهنتهم او جودة انتاجهم . فبدأت اقرا لهم وافتش عن اخبارهم في كل قومية او قطر ، اضافة لما يحفل به التراث العربي من عدد غفير منهم .... ولم يكن الأدب يوماً حكراً على احد او شعب او قطر . وهكذا تسنى لي ان أجمع سير مجموعة مناسبة . كما قرأت دراسات عن انتاجهم وملخصات لبعضها في الكتب والموسوعات والمجلات الادبية والعلمية ، اضافة الى ماتمكنت من اقتنائه ومطالعته عن نتاجهم .

ويقتضي هنا ان اشير الى السبق الذي حازه في هذا المجال السيد محمد الخليلي في العراق عندما قام بجهد كبير وأصدر كتابه (معجم ادباء الاطباء) في جزئين عام ١٩٤٦ وضم بين دفتيه اسماء (٢٣١) طبيب ـ اديب عربي رتبهم حسب الحروف الابجدية وذكر ماتيسر له جمعه من سيرهم ونماذج من انتاجهم . وقد طغت مجموعة الاطباء القدامى على المعاصرين الذين لم يتجاوزوا الخمسة عشر طبيباً ، بعضهم لم يكن اديباً بالمعنى المعروف بل عالماً في ميادين أخرى او ممن كتبوا بضع قصائد ومقالات ... ، وهو ما حاولت ملافاته وإكما له ...

وانني اذ اقدم هذا الكتاب للقارىء العربي فانني ابغي من ذلك تعريفه بنماذج منهم على اختلاف جنسياتهم وأوطانهم .. ، فالثقافة العامة واجبة وهي سبيلنا الى معرفة مكانة الاديب

العربي بحكم المقارنة والموازنة . ولن استطيع التعريف بجميع ادباء الاطباء وشرح كل ما انتجوه ، فذلك عمل موسوعي ضخم او هو بمثابة إعداد معجم وفهرست موسع . ولا أزال بعيداً عن ذلك الحلم الذي قد احققه في المستقبل ، إن شاء الله .

وسيجد القارىء الكريم من فصول الكتاب أنني حاولت استعراض سير الاطباء - الادباء ابتداء من التاريخ القديم وصولاً الى القرن العشرين ... ومن الاموات الى الاحياء . كما انني لم اذكر الاطباء الذين برزوا في ميادين اخرى - عدا الأدب - الا ذكرا سريعاً عابراً ، لأنهم يشكلون مجموعة اخرى ليست بالقليلة ، بل ربما تضاهيها عدداً وتنافسها اهمية ... وقد ارتأيت ان استهل الكتاب بفصل اتحدث فيه عن الطب والأدب وعلاقتهما ببعض ، لأنها ظاهرة تستدعي التعليق والدراسة ..

والله من وراء القصد

الدكتور فخري الدباغ

الطب .. والأدب

(*) الطب للناس .. والحياة
(*) الطب والفقر .. والغنى ..
(*) الاطباء والرواية العلمية
(*) الاديب ... والعلم ..
(*) الطبيب وعصر الآلة ..
(*) الاطباء في الميادين الاخرى
(*) الاطباء في منظور الآخرين



الطب .. والأدب

الطب علم وفن يرتبط بالانسان مباشرة .. بحياته ووجـوده ، .. بأفكـاره وسلوكه .
والطب علم متطور لأنه مشحون برغبة الكشف ، عن المجهول والتغلب على تحديـات المرض والآلام . والمجهول هو الكائن البشري ذاته المليء بالأسرار والغرائب . والطب النفسي ـ وهو احد فروع الطب ـ يسهم كثيراً في ذلك اذ يتناول العقل والامزجة والسلوك ...

والطب فن لأنه يعتمد على اسلوب خاص في التعامل الانساني بين الطبيب والمريض وذوي المريض . وقد يذهب هباء جزء كبير مما يمتلكه الطبيب من علم اويفقد الغاية منه والهدف اذا لم يصحبه اسلوب انساني في التعامل الاخلاقي المجرد عن الانانية والطمع والحقد واللامبالاة .

وهكذا يجمع الطبيب المثالي (النموذج) بين العلم والخلق . وهما من ركائز الطبابة الحقة ومستلزمـات الطبيب ـ الأنسان ، المـؤهل لان يحتـل المكان القـريب الحبيب من الانســان التعيس ـ المريض . الطبيب القدير الحاذق هو الذي لايعتمد على العلم المجرد ، حسب بل على «الطب في الحياة» ايضاً ، على العلم التطبيقي الممزوج والمعجون بتجارب الحياة .. ، الطب المستمد من واقع المجتمع والبيئة والظروف . الطبيب المـاهر هـو الذي يربـط بين النتـائج والاسباب ويبحث عن محصلة العلل ومختلف العوامل مجتمعة متكاملة .. متشابكة متداخلة ، وليس على السبب الواحد . براعة الطبيب ليس في تشخيص «التهاب الكبد وضموره» بسبب الادمان على الكحول .. بل في معرفة دوافع الادمان .. وسبل الوقاية .. واحوال الاسـرة .. وتغيرات المجتمع .

كذلك ليس من المهارة القول ان الزوجة الفلانية مصابة بالسل لأن جرثومة التدرن قد فتكت برئتيها .. وان الطفل البرىء الجميـل فلان مصــاب بشلل الاطفال بسبب الرشـوح (الفيروسات) المسببة لشلل الأطفال .. وليس من المهارة والالمعية ان يعرف الطبيب ان فلاناً كئيب وإن علانا مهووس وان آخر مجرم . فالمهارة والحكمة تكمنان في البحث عن اسباب الكآبة وبؤس البشر .. وتيارات المجتمع .. والاحوال المؤشرة في سيرته .. وطبـاع الناس واخـلاق الجماعات ...

وهكذا يصبح الطبيب ـ اوهكذا يجب ان يكون ـ انسانا يعيش ضمن ظروف اخوته من البشر وتطوراتهم وافكارهم ، وما يعتريهم من انفصالات واستجابات لايمكن ان تبقى حبيسة

صدورهم ووجداناتهم . وعن هذا الطريق لابد ان يجد بعض الاطباء انفسهم وهم يعبرون عن تلك الاحاسيس والانفعالات فيطلقونها ويدونونها شعراً وقصة ورواية .. ، بل ادبــاً اصيلاً متمكنا مبدعاً ، خلافاً لانطباع ساور نقاداً ، مفاده ان الطب على غير وفاق مع الأدب . وسنرى ان لامبرر لجفاء او فراق بين الطب والأدب ، بل ان العكس هو الاصح والأقرب الى المنطق لان من العجب ألّا يكتب الطبيب ادباً راقياً وهو في خضم الحياة وفي تماس مباشر مع معاناة البشر .

وبالرغم مما ذكرناه فاننا ما نزال نجد من يستكثر على الطب صلته العضوية بـالأدب . وفي تقديمه (لمعجم ادباء الاطباء) اكد الاستاذ جعفر الخليلي ان لا علاقة وظيفية او نفسية للطب مع الشعر والأدب ، وقال : «إن المهندس الأديب كالطبيب الاديب ، والحائك الشاعر ، والتاجر الشاعر ، وهو يعتقد ان ادباء الاطباء اتجهوا لدراسة الطب كعلم يدعم ادبهم ويكمل منهم باعتبار ان الاحاطة بالأديب ترسخ الاحاطة بالعلم ومن ضمنها الطب . ويفترض ان ادبــاء الاطباء كانوا أدباء قبل كونهم اطباء[1] » . والرد الجاهز الواضح ياتي من حياة الاطباء ـ الادباء انفسهم ومن تصريحاتهم التي تدل على انهم كانوا في سبيل دراسة جدية للطب اضافة الى امتلاكهم نزعة صادقة عارمــة نحو الادب او اكتشـافهم في ذواتهم تلك الملكة الادبيــة اثناء دراستهم الطب او ممارستهم له .

قال الدكتور ج . دوهاميل ـ الأديب الفرنسي الشهير ـ وهو يذكر صديقه الحميم (هنري موندور) : «في مطلع هذا القرن تعرفت على هنري زميلاً يدرس الطب والجراحة مثلي ، وادركنا ان معرفة الانسان وطبيعة البشر امثالنا لاتتم بالعمل على سرير المرض والألم ، بل نعايشـهم ونراهم في حياتهم يعانون الحب والغيرة والصداقة والطموح ، وبذلك اشتركنـا في مشاطرة الناس آمهم وعرفنا ان من واجبنا الكتابة عن الانسان .. للانسان» .

---

(١) معجم ادباء الاطباء : محمد الخليلي مطبعة الغري . النجف ـ العراق ١٩٤٦ .

الطب للناس .. والأدب للحياة :

واذا كان الطب للناس والمجتمع .. ، واذا كان الادب مرآة للناس والحياة .. ، فلابد ، اذاً ، ان يرتبط بالأدب ويغذي بعضهما الآخر ويحفزان طاقاتهما في كافة المجالات لاغناء الحضارة والفكر الانساني .

ولم يستطع الطب أن يبقى مهنة محتكرة مغلقة او وراثة عائلية الا في عهود قديمة سبقت مرحلة «ابيوقراط» . في تلك الحقبة من الزمن ، كان الطب جملة من «الاسرار» المحفوظة المتداولة بين الآباء والابناء يعلمها الكبار للصغار بالرموز والالغاز والتدريب غير المدون كي لايفهمه الآخرون . ويقول الطبيب العربي (الحسن علي بن رضوان) في ذلك : «كانت صناعة الطب قبل ابيوقراط ذخيرة يكنزها الآباء ويدخرونها للابناء . وكانت من اهل بيت واحد ينتسب الى «اسكلبيدوس» والمعلم الاول في الطب . وكان الطبيب فيهم يعلم ولده او حفيده بالمخاطبة فقط . وما احتاجوا الى تدوينه ، دونوه بلغز حتى لايفهمه احد سواهم ، فيفسر ذلك اللغز الاب للابن ... الى ان جاء ابيوقراط فدون الطب في الكتاب واخرجه فعممه واستحلف المتعلم ان يكون ملازماً للفضيلة والطهارة ...» .

وهكذا تحرر الطب على ايادي ابيوقراط والاطباء والفلاسفة العرب من قيود الاحتكار الفكري واصبح طبا للناس واقترن بنواميس وشرائح واصول متعارف عليها . ولعل هذا التحول الجذري في اهداف الطباعة وآدابها هو الذي فتح للطبيب ابواب المعرفة الاخرى .. ومنها الأدب .

وقد اتاحت دراسة الطب التغلغل في دقائق تشريح الكائن البشري وتشعبات عروقه واعصابة ، ثم قادت الطبيب الى دراسة وظائف الاعضاء والى كنه التحولات الكيميائية المعقدة في دمه وخلاياه .. ، ثم ادخلته الى عالم العقل والدماغ وجعلته يتساءل وينقب عن ماهية الفكر والعاطفة والشعور والسلوك والروحيات ، وعن كيفية وكنه علاقتها بمجموعة من خلايا والياف وانسجة واخاديد وتشعبات وتجاويف صامتة في الدماغ ، قائد الجهاز العصبي . اي ان الطب وضع الطبيب امام المعضلة الفلسفية العقلية الخالدة وهي : العلاقة بين المادة والروح .. ، والملموس والمجرد .. ، والتفسير المادي للفكر .. او الظاهرة الفكرية والوجدانية للتفاعل والنشاط المادي ...

في الوقت نفسه ، نجد ان الطبيب بتعامله مع الانسان ككائن حي متكامل متفاعل مع الطبيعة والكون والمجتمع جعلته في اتصال مباشر واحتكاك مع سبل الحياة وظواهر المجتمع وتحولاته .. ، جعلته يفكر في البؤس والشقاء .. ، في الرخاء والحب والسعادة .. في الموت والحياة .. لا عن طريق العلاج وعلم الصحة فقط بل عن كل مايدخل الى ، ويتداخل في التركيب النفسي والجسمي للانسان . وانعكس كل ذلك بداهة في انتاج الاطباء والادباء .

والحقيقة ان لا انسانية بالعلم وحده ، ولا انسانية بالأدب وحده بل بالاثنين معا ، كما يقول الروائي المعاصر (سنو) . ولعل اكثر ما اسهم فيه الأطباء من انتاج حضاري – بعد العلوم الطبية – كان في ميدان الأدب . وكما يذكر محمد الخليلي – وهو مصيب – ان كلا من الاديب والطبيب يعتمد على الحدس والمنطق ، وكلاهما يلاحظان علل الناس افراداً ومجتمعين ..

اما التراث العربي فيشير الى ان بعض الادباء القدامى اعتبروا الطب جزءاً من الأدب ، مثل (التبريزي) في (حماسته) ، لأن الأدب يعني «الدأب» .. والطب يعني «الدأب كذلك . ويؤيد هذا الاجتهاد المستشرق الايطالي (نللينو مضيفاً اليه كون الأدب يعني المعلومات والمواعظ وقواعد السلوك الفطري والمكتسب والاخلاقيات .

اصناف الاطباء – الأدباء ..

لو تصفحنا سير معظم الاطباء – الادباء لوجدناهم فيها خليطاً من الاطباء غير المتخصصين – اي اطباء عامين ، او من المتخصصين ، والمتخصصون منهم ليسوا بالاقلية ، وهو ما يستدعي الاعجاب والاستغراب ، لأن التوغل في تخصص طبي يعني مزيداً من الانشغال بالمهنة ... ، لكننا على العكس نجد الطبيب المتخصص لايكتب في قضايا علمية ضمن اختصاصه فحسب (مثل الجراحة او طب العيون ، او طب النسائية والولادة .. الخ) بل انه يكتب في ادب عام جذاب ورائع لاينبيءاحيانا عن تخصصه ! .

ومن الاطباء – الادباء من حصل على شهادة الطب ثم سرعان ماتفرغ كلياً الى الكتابة والأدب وعمل في مؤسسة نشر او صحافة او اصدر انتاجه شخصياً دون الارتباط باية التزامات وظيفية ليتنقل ويسافر طلباً للمعرفة والخبرة .

ومن الاطباء من استمر على ممارسة الطب اول الامر ثم وجد عدم امكانية الجمع بين

المهنتين والاستمرار بهما فاضطر الى ترك الطباعة والتفرغ للكتابة من جديد .

ومن الاطباء الادباء من استطاع الاستمرار حتى النهاية في ممارسة الطب والادب بحذق وكفاية بالفتين ، بل انهم اشتهروا في الطبابة وكان لهم «جمهورهم» الطبي المستقل عن «جمهورهم» الادبي .

ولم نجد تباينا بين شخصيات المجموعتين ولا في مستوى انتاجهم او غزارته . فالمسألة تتعلق بالمزاج والوقت والحماس ومدى ارتباط الطبيب ـ الأديب بمهنته وظروفه الحياتية الاخرى من شعور بالاستقرار او صفاء الذهن او سهولة الانتاج . الا ان الظاهرة التي يمكن الاشارة اليها ان المتفرغين من الاطباء في العالم الغربي هم اكثر من زملائهم في الشرق العربي . ولعل ذلك يرجع الى ان الادب في العالم الغربي يدر ارباحا عالية ويؤمن استقراراً مادياً لايحلم به اي اديب عربي .. فمهنة الأدب لاتزال كاسدة لدينا ، لذلك لايتفرغ معظم الادباء للأدب والكتابة عدا الاقلية منهم ، كما سنرى في هذا الكتاب .

حرفة الطب والأدب .. فقر أم غنى ؟

لامجال للتشكيك في صدق اختيار الطبيب لمهنة الادب بدافع من الرغبة والهواية الصادقة في الكتابة دون النظر الى الربح المادي . والمعروف منذ غابر العصور ان الادب مهنة الفقراء والمعوزين عموماً . وكان من الطبيعي لدى اجدادنا القدماء انه عندما يقال في مجمع «ان فلان ادركته حرفة الأدب» ادرك السامع حالاً بانه «اصبح فقيراً محتاجاً ! . ومن المؤسف الاعتراف بان حرفة الادب لاتزال الى يومنا هذا لاتدر شيئاً يؤمن للأديب العيش المناسب ـ ولن نقول الرغيد ! .

والحقيقة ان ادباء العرب القدامى عانوا شظف العيش فاعتمدوا على انفسهم في كسب العيش ومارسوا حرفاً اخرى بالاضافة الى الأدب كي لايقفوا بباب ملك جاهل او أمير جائر وانصرفوا في الوقت نفسه الى نشر العلم والأدب فكانوا يعلمون ويعملون . ومن الكتب التي تطرقت الى صناعات العلماء نذكر :

١ ـ «بدائع التحف في من نسب من العلماء الى الصنائع والتحف» لابن الفوطي الشيباني .

ـ كتاب «الصناع من العلماء والفقهاء والمحدثين» لابن عبد الله محمد بن سعيد الهروي .

ومن الادباء من اشتهر بعلمه وادبه واحتفظ بلقبه الذي يرمز الى حرفته الاصلية التي كان يدفع بها ضيق ذات اليد عن نفسه . مثال ذلك (السري الرفاء احمد الكندي الشاعر الموصلي : الذي كان في باكورة شبابه يعمل في دكان في الموصل يرفو الثياب ويطرزها . واتصل بسيف الدولة واصبح من شعراء بني حمدان وعاصر المتنبي . فلما نبه شانه ترك حرفته . وكان شاعراً مطبوعاً كثير الافتتان في الاوصاف والتشريعات . ومن ابياته :

بنفسي من أجود له بنفسي ويبخل بالتحية والسلام

وحتفي كامن في مقلتيه كمون الموت في حد الحسام

و (ابو منصور الثعالبي) الشاعر الاديب اللغوي كان يعمل في صناعة جلود الثعالب .

اما الاطباء ـ الأدباء فسنجد ان بعضهم لم يكن غنياً او مترفاً في حياته .. ، والبعض الآخر وقع فريسة لاطماع الناشرين واحابيلهم .. ، والبعض الآخر ـ وخاصة المعاصرين الغربيين ـ عاشوا برفاه وبحبوحة وكانت مدخولاتهم من الأدب لاتقل عن مدخولات اي طبيب ناجح ، الا ان الدافع الى الرزق لم يكن يلعب الدور الحاسم او يحتل الهدف الأول في اختيارهم الأدب او الطب او الاثنين معا كمهنة لهم .

الاطباء والرواية العلمية :

رغم ان الطب يساعد ادباء الاطباء على سبر اعماق النفس البشرية وعلى كتابة ووصف اوضاع وحالات نفسية واجتماعية دقيقة ومؤشرة .. ، الاّ اننا نجد القليل منهم من كتب الرواية العلمية بعناصرها المعروفة . ولعل الاطباء الادباء انتبهوا منذ قرون الى ذلك ولكنهم لم يصلوا الى الرواية العلمية «الفانتازيا» على الرغم من تلقائية ميلهم وتشبعهم بالعلوم الطبية والطبيعية التي بانت من خلال مقالاتهم أو رواياتهم .

وفي مقابل ذلك نجد ان الرواية العلمية كانت من نصيب ادباء غير اطباء . لماذا ؟ .. هل يعود ذلك الى خيال دافق يفتقر اليه الطبيب ؟ او لأن الطبيب قد تقولب بموضوعية علمية اثناء دراسته الطبية بحيث اصبح اكثر واقعية والتزاماً بالحقيقة ؟ لانكران ان الاطباء حريصون على التحفظ العلمي ، وخيالهم هو مناط الوصول الى الحقيقة او هو محاولة لمد وتوسيع حافات

الوقائع وليس القفز من فوقها او الطيران بها بعيداً ... بينما نلمس روح المغامرة والاندفاع والجرأة في كتابات علماء آخرين من غير الاطباء مثل الدوس هكسلي في رواية (عـالم شجاع جديد) حيث تناول فيها وصف سلوكية واخلاق البشر في عصر حبـوب منع الحمـل والتقليح الصنـاعي والطعام والتقني المـركز صنـاعياً بشكـل اقراص تغني عن المـوائد والصحـون والمضغ .. ومفهوم الحب والاخلاق والصلات الاجتماعية والعائلية في ذلك المجتمـع الغريب الجديد .

وكان (جول فيرن) الفرنسي قد سبق هكسلي في روايته التي تخيل فيها غزو الانسان لقاع المحيطات ، وكذلك عالم الرياضيات الالماني (كيلر) في روايته (الحلم) والتي تنبأ فيها منذ القرن السابع عشر عن غزو الانسان للفضاء الخارجي . اما الكاتب الانكليزي (هـ . ج . ويلز) فكان له الخيال العلمي المسند ببعض الاوليات العلمية عن (طعام الآلهة) وعن (الرجل الخفي) الذي يختفي عن الانظار بفعل مادة يدهن بها جسمه . كل تلك الروايات اصبحت اقرب الى سهولة التصديق وادنى الى الحقيقة في النصف الثاني من القرن العشـرين ، ومثلت على الشـاشة والتلفاز بصيغ وأساليب مختلفة .

ونعود الى ادباء الاطباء لنقول ان بعضهم حاول فعلاً كتابة الرواية العلمية ، ومن بين كتاب الوطن العربي نجد الدكتور مصطفىٰ محمود وهو في عالم (الفانتازيا) الطبية الفلسفية كما قرأناها في رواياته (العنكبوت) و (رجل تحت الصفر) و (الخروج من التابوت) .

الادباء ... والعلوم :

ان حاجة العالم (والطبيب للادب والعلوم الانسانية عامة تقابلها ضرورة ملحة لكل اديب ان يتزود بالعلم الحديث . وهذا ما دعا اليه الروائي الاديب والناقد (سنو) المذكور آنفاً ، اذ اشار الى الهوة السحيقة بين العلوم والفنون والآداب . ومن المؤسف ان نجد الندرة بين ادباء هذه الايام من يعرف شيئاً من مبادىء قانون الجاذبية او الفلك او الرياضيات الحديثـة او الحاسبات الالكترونية (الكومبيوتر) مما يعزله عن عصره الذي هو عصر العلم . ولعل تزود العلماء واطلاعهم على المعارف الانسانية من فن وادب وفلسفة هو اكثر من اطلاع الادباء على العلوم وتزودهم بها .

وقد اصبحت الآن ظاهرة طبيعية في اوربا وامريكا ان يحضر الادباء محاضرات علمية في الجامعات وان تدخل مواد العلوم في مناهج الكليات الانسانية ومواد الانسانيات في مناهـج الكليات العلمية .

يقول ابن سينا : «على الطبيب ان يستند الى الفلسفة لأنها اصـول الحكمة وينبـوع العلم» . ويذكر عن (ابراهيم المنذر) الشاعر اللغوي الخطيب ان شعره كان شعر علماء وان اسلوبه رصين والفاظه بينة ومعانيه قريبة . فمن الشعراء علماء .. كما ان من العلماء شعراء .

ومع ذلك فان بعض النقاد يجاهرون بان العلم جرد الفن من جماله ، وان العلم والفن عدوان متناقضان . والحقيقة هي خلاف ذلك . فالشاعر الانكليزي (ج . كيتس) يعتبر الجمال هو الحقيقة ، والحقيقـة هي من مقومـات العلم . وليس العلم الذي يجرد الفن والأدب من جماليته بل ان فقدان الاصالة والعنصر الانساني ، هو الذي يمسخ الثقافة والفنـون . ان الدعوة الى تقارب العلم والأدب قديمة نادى بها كثير من المفكرين العرب والأجانب .

الادب على لسان الاطباء :

ان عشق الأدب لايقتصر على الاطباء الادباء فحسب بل يمتد الى الاطباء ـ القـراء ـ المثقفين عموماً .. اولئك الذين يتذوقون الادب ويشيدون به لأنه المرآة الناصعة للنفس البشرية والسلوك الاجتماعي .. ، بل انهم يستشهدون بالانتـاج الأدبي والفني للدلالة على نمـاذج التفكير والوجدان والاتجاهات والعقد لدى المرضى (وخاصة الاطباء النفسيين) .

سئل الدكتور الشاعر ابراهيم ناجي كيف جمع بين الشعر والادب ، فأجابهم بأبيات نكتفي بالبيتين التاليين منها :

الشعر مرحمة النفوس وسره　　　هبة السماء ومنحة الديّان

والطب مرحمة الجسوم ونبعه　　　من ذلك الفيض العلي الشان

وقال (ابن رشد) الطبيب ـ الفيلسوف : «ان معرفة الاعضاء بالتشريح تقرب العبد من ربه ...» ـ وهو قول مهم ينطوي على فهم للحياة وايمان بالخالق .

واكد الرازي على ضرورة ان يكون الطبيب عالماً وفيلسوفاً لاطبيباً فحسب لان من يمارس الطبابة فقط ليس بطبيب بل متطبب ـ والقصد من الفلسفة هنـا معرفـة علم النفس وسنن

الحياة .

وقال سومرست موم : «ان دراسة الطب هي خير تهيئة واعداد لحياة الاديب» .

ويقول الجراح الطبيب الروائي المعاصر فرانك سلوتر : «اعتقد ان الكتابة أحسن مهنة يمتلكها الانسان : فبا لكتابة اتصلت بملايين الناس لأنها تعبر كل الحدود ، وتصل الى ابعد الديار خاصة وان كتاباتي تباع في الخارج اكثر مما تباع في امريكا ..» .

وكتب د . عبد السلام العجيلي عن (الدكتور الياس) في قصته (باسمة بين الدموع) انه «قادر على البرهنة على صحة نظريته وعلى البرهنة على خطئها في آن واحد ، تسعفه في ذلك معرفة واسعة بعلوم كثيرة ـ والطب احدها ـ وذكاء لامع وسخرية لاذعة يحسن استخدامها عندما يريد ويشتهي » .

وهكذا نجد ان الأديب اقرب مايكون اتصالاً بقلب الطبيب وعلى لسانه وطوع قلمه اذا ما وجدت فيه نزعة الحديث والكتابة .

.. والطب على لسان الأدباء :

واذا انتقلنا الى الجانب الآخر واستعرضنا راي الادباء الآخرين في الطب والاطباء وادباء الاطباء لوجدنا الانطباع نفسه ـ اي ان الطبيب اذا اراد الكتابة فانها اقرب وايسر ماتكون اليه لانه يعيش مع الناس وللناس .

يقول أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف :

عجبي للطبيب يجحد بالخلق من بعد درسه التشريح ، ولعل في استعراض حيوات الاطباء الادباء نجد الجواب على تساؤل المعري لأن كتابات الاطباء غالباً ما تتضمن الايمان بالخالق ، ووصفاً دقيقاً لظواهر الحياة واحوال البشر ووسائل شفاء الروح والوجدان علاوة على الابدان ..

وكان الطب والاطباء حقلاً خصباً لبعض الكتاب ومجالاً لاظهار حصانتهم او سخريتهم والمعيتهم . فلم يسلم الاطباء من سخرية (موليير) في روايته (الطبيب رغم انفه) . اما برنارد شو فقد سما بالنقد اللاذع على الاطباء في كتابه (حيرة طبيب) ويقول برنارد شو عن الاطباء ساخراً انهم يقتلون الناس افقياً (على منصة العمليات) اما المحامون فيقتلونهم عمودياً (على المشنقة) !! .. اما رواية (المقامر) للكاتب الروسي الشهير .دوستويفسكي فهي تجسيد بارع

للمرض النفسي وكأنها كتبت بقلم طبيب نفسي متمرس .

ويقول توفيق الحكيم : «احب ان اقرالاولئك الذين هم من طراز العلماء المطعمين بالفلسفة» . ويقول الفيلسوف (لايبنتز) : «آه لو تفلسف الاطباء وتطبب الفلاسفة» . اما علاقة الطب بالأدب - او بالعكس - فقد لخصها الدكتور محمد صبحي ابو غنيمة بقوله «انا طبيب الادباء واديب الاطباء ...» .

ويقول الشاعر معروف الرصافي معلقاً على أدب وحكمة الرازي بقصيدة نشرت في (المقتطف) بعنوان (جالينوس العرب ابو بكر الرازي) :

قعدت بأوساط القرون فجاءني
ابو بكر الرازي فقمت لاجلال

فتى عاش اعمالاً جساماً وانما
تقدر اعمار الرجال باعمال

حكيم رياضي طبيب منجم
اديب وفي الكيمياء حلال اشكال

الطبيب المعاصر وخطر الآلة والتقنية ..

ان ادباء وجدوا مع الطبابة وظهروا في جميع مراحل التاريخ والحضارة . ولا احسب ان عددهم بدأ يتناقص في القرن العشرين ... بل ان ظروف الحياة المعاصرة اصبحت اكثر دعماً لهم ، مادياً ومعنوياً .

وما نخشاه جميعاً هو الخطر الكبير الذي لاح في الافق وبدأ يتغلغل في ادق مسالك الحياة - الا وهو التقنية والآلة . فالآلة ، والمدن الكبيرة ، والحياة المجنونة بالسرعة وصراع الزمن ، ووهن الاواصر والعلاقات الاسرية والاجتماعية اصبحت تهدد العنصر الانساني والاخلاقي في حياة البشر وتنقلها قسرا الى عالم الانانية والارصدة والارقام والتفكير بمنطق الحسابات الالكترونية . وتتعرض الطبابة والاطباء ومن يعمل معهم كافة الى تلك الاخطار بحيث اصبح من المحتمل جداً ان تنقلب الطبابة العصرية الى نوع من التعامل الآلي المفتقر الى اواصر الوجدان والمثل . وفي ذلك تهافت الحضارة وانحطاطها وليس ازدهارها .

واذا ما استقطبت الاعتبارات المادية والتقنية اهتمام الطبيب وشغلته عن جوانب الروح والاخلاق والعواطف فان ذلك سيدمر اهم ركيزة للطب .. وسيمسـخ انتاج الطبيب في الطب والادب والفن . ولا ابالغ اذا قلت انه سيقضي على روح الابداع فيه . ان التفكير والمنطلق المادي هو الخطر الحقيقي وليس العلم ـ كما قد يلتبس الامر على البعض ـ فالعلم لايعني التقنية ، وان كانت هي احدى معطياته ، فالعلم منهج وأسلوب .. والتقنية جزء منه ..

ان خطر الحياة المادية والاعتماد على التقنية كعوامل مفسدة لروحية الطبابة الشفافة الرحيمة كانت موضع نقد لاذع من قبل عدد من المفكرين و (برناردشو) احدهم ، فقد هاجم الطب بسخرية ملحة ومغالاة واضحة اذ كتب عام ١٩٠٦ في درامته (حيرة طبيب) مايلي :

«ان الطب علم ناقص ، فهو فن .. لابل انه مجموعة خرافات . اما الاطباء فهم ليسوا مخلصين اذ يعلمون ان معارفهم قاصرة وان جراحاتهم خطيرة وعلاجاتهم عقيمة ، ولكنهم يكادون يرتبطون بمؤامرة . فكل منهم يتستر على اخطاء الآخرين ويداريها ويزعم العلم والفن حيث لاعلم ولا فن . اما انتصارات الطب فالفضل فيها ليس للطب ولا للاطباء بل للمهندسين الذين صنعوا كل الاشياء التي تهيىء وسائل العيش الصحية من انابيب مياه ومجاري تصريف وصناعة صابون ومساكن صحية .. الخ » .

وفي هذا الوصف تجن ، وتهكم لايخلو عن حقيقة هي ان التقنية التي يطورها العلماء (ومنهم المهندسون) تؤثر في الطب .. ومستقبله ، سواء بالسلب او الايجاب ..

والحل بيد الاطباء :

ان ازمة العصر شاملة .. ، وبالنسبة للطباعة وما يتبعها من انتاج فكري انساني ، فان الحل بيد الاطباء . ومن اجل الحفاظ على جوهر العلاقات الانسـانية بـين الطبيب والمريض والناس ، ولأجل ابقاء السمو الاخلاقي ودعم المكانة الوجدانية للطب .. ، ولكي يستمر الاطباء عاملين مبدعين في الفن والأدب والكتابـة فان عليهم الالتـزام الدائم والتمسك بعنـاد وشدة بمبادىء وتعاليم الطب وبقسم الاطباء منذ عهد ابيوقراط .

وعلى الاطباء ان يستخدموا التقنية والعلم لخدمة الانسان لا ان يجعلوا الانسان ـ وهم معه ـ في خدمة التقنية . الانسان يجب ان يبقى هو القائد وهو الهدف . على الاطباء ان يتعاملوا

مع الانسان ككل : بقلبه وعواطفه وظروفه وذكرياته مجتمعه ، وتجنب النظر اليه كجهاز ماكنة ومجموعة عضلات وسوائل وحوامض ومواد كيميائية وأنزيمات .. ، وعليهم النظر اليه ككائن متفرد متميز وليس من خلال ارقام ومخططات ورموز مختبرية . بذلك نحفظ للطب سموه وصلته بالانسان .. وبالأدب .. وبالحياة ..

الاطباء في الميادين الاخرى :

وكما ذكرت في مقدمتي ان الاطباء الذين نبغوا ولمعت اسماؤهم في سجل الحضارة الانسانية في حقول المعرفة الاخرى من علوم وسياسة وفن ـ عدا الطب والأدب ـ كثيرون ايضاً ، وان لم يفوقوا بعددهم وانتاجهم زملاءهم الاطباء والادباء .

فقد اشتغل بعض الاطباء بأمور المعرفة ونداءات الواجب ومتطلبات المرحلة ، وبرعوا في علوم اخرى مثل الرحلات والجغرافية ، وفي علم الاجناس (الانثروبولوجيا) وفي الفن والموسيقى .. وكذلك في السياسة . وبذلك احتلوا اماكن سابقة في تاريخ البشرية جمعاء وفي تاريخ امتهم . واذكر على سبيل المثال وبايجاز سريع :

الدكتور الرحالة الانكليزي (دافيد ليفنجستو) ١٨١٣ ـ ١٨٧٣ م الذي عرف برحلاته ومغامراته في مجاهل افريقيا الوسطى والجنوبية واكتشافاته المهمة فيها .

والدكتور (ادوليف باستيان) ١٨٢٦ ـ ١٩٠٥ م الطبيب والرحالة الالماني الذي اسس من مجموع رحلاته متحفاً حضارياً ـ للسلالات والثقافات القديمة (انثولوجيا) في برلين عام ١٨٦٨ م .

والدكتور (بول بروكا) الفرنسي كان طبيباً وجراحاً شهيراً (١٨٢٤ ـ ١٨٨١ م) . وهو الذي اسس علم تكوين الانسان .

وكان الموسيقار الشهير (برليوز) يكتب النوتة الموسيقية في درس التشريح عندما كان طالب طب ، وكم نال تعنيفاً وزجراً من اساتذته لشرود ذهنه وفكره ..

والدكتور (البرت شوايتزر ١٨٧٥ ـ ١٩٦٥ م كان استاذاً للفلسفة واللاهوت في جامعة سترابورغ بألمانيا ، وكان موسيقياً موهوباً وتأثر بحياة السيد المسيح والرسل وبأفكار تولستوي ، ثم اذا به يتحول الى دراسة الطب بعد فترة متأخرة وعمره (٣١) سنة ، وسافر الى

افريقيا كطبيب عمره (٣٨) سنة لمساعدة ابناء افريقيا المستعبدة . وفي عام ١٩١٣ انشأ مستشفى وعاش بين الزنوج في الجابون في قلب افريقيا الاستوائية وكتب عنهم وعن الحضارة والانسانية . وحاز على جائزة نوبل للسلام .

والدكتور (شبلي شميل) ١٨٥٠ ـ ١٩١٧ م : طبيب وعالم طبيعي ومصلح اجتماعي ، انهى دراسته الطبية عام ١٨٧١ في القاهرة بعد ان درس ونشأ في بيروت ، وسكن مصر ثم رحل الى اوربا ودرس الفلسفة المادية وتأثر بآراء (لافرازيه) و (نيتشه) و (داروين) و (نيوتي) و (لابلاس) . تراس تحرير مجلة (المقتطف وكتب اغلب مقالاته فيها . كان خطيباً وسياسياً جريئاً وشاعراً مقلا نقد التعصب والتزمت الفقهي والديني في كتابه (فلسفة النشوء والارتقاء) . وولع بالكيمياء .

والدكتور عبد المجيد الرافعي عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي وأمين سر القيادة القطرية في لبنان ونائب طرابلس في البرلمان اللبناني طبيب معروف في طرابلس ، وعيادته الشعبية هي من معالم طرابلس لبنان في الطب وفي المعارك السياسية .

والدكتور (فيدل كاسترو) زعيم كوبا الذي قاد ثورة ناجحة وارسى نظاماً اشتراكياً في جزيرة صغيرة تواجه سواحل اكبر دولة امبريالية وهي الولايات المتحدة الامريكية . وقد بث تعاليمه وحماسه وتلامذته في الحركات الثورية في امريكا الجنوبية على الخصوص ..

والدكتور (ايرنستو جيفار) ١٩٢٨ ـ ١٩٦٧ م هو احد رفاق كاسترو . كان طبيباً ايضاً ، ولد في الارجنتين وحمل هموم المسحوقين في بلده وامريكا الجنوبية ، وعمل في الحركات السياسية الثورية منذ دراسته الثانوية . اشترك في ثورات (غواتيمالا) و (المكسيك) ، والتقى كاسترو الذي دعاه (تشي) اي (الصديق) . زار افريقيا ثم ظهر في بوليفيا لقيادة حركة ثورية مسلحة . وهناك دبرت له المخابرات الامريكية مؤامرة اغتياله ، والتي اصبحت شبه اسطورة وملحمة .

والدكتور (سلفادور الليندي كوسنس) ١٩٠٢ ـ ١٩٧٣ م ، كان طبيباً قبل دخوله ميدان السياسة . ومن الطبابة عاش شقاء الناس وأوضاعهم الاجتماعية في (تشيلي) فتأثر بالمعتقدات السياسية التقدمية . كان والده محامياً وجده احد مؤسسي الحزب الراد يكالي التشيلي . ورغم نشأته الارستقراطية فقد آمن (الليندي) بالفكر الاشتراكي وأسس الحزب الاشتراكي التشيلي عام ١٩٣٣ واصبح وزيراً للصحة في الاعوام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢ م . كان يؤمن بامكانية اقامة

نظام اشتراكي مع الحفاظ على حكم برلماني ديمقراطي والتحرر من قيود الاستعمار . وبعد تقلبه في عدة مناصب وسقوطه في الانتخابات فاز اخيراً بتأكيد اليسار واصبح رئيساً للجمهورية عام ١٩٧٠ وقام باصلاحات عديدة ... لكن الاضطرابات الداخلية وتآمر الامبريالية ادت الى قيام انقلاب يميني ضده .. واطيح به عام ١٩٧٣ وظل يدافع عن قصره ببسالة حتى قتل . وكانت انتكاسة لليسار في امريكا الجنوبية لعبت فيها الولايات المتحدة الامريكية دورها المعروف .

والبروفسور (موى) استاذ القانون الدولي في جامعة باريس قبل عقود ، جمع شهادات الدكتوراة من اربع كليات هي : الطب والعلوم والآداب والحقوق . لكنه اختار (القانون الدولي) . وكم افاده الطب في فهم وشرح السلوك البشري والعلاقات الانسانية .

واخيراً .. اطباء ادباء او ادباء اطباء ؟؟

تجد - ايها القارىء الكريم - انني استعملت اصطلاح الاطباء الادباء بدل ادباء الاطباء ايمانا مني بان الطب هو القاعدة العريضة للاديب الطبيب وللفنان الطبيب وللشاعر والموسيقار والفيلسوف - الطبيب .

وفي اواخر سنة ١٩٥٦ م في احضان مدينة (سان ريمو) الجميلة المطلة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط انعقد اول مؤتمر عالمي للاطباء الكتاب ، وكان مؤتمراً فريداً في نوعه اذ ضم شخصيات من مختلف الجنسيات والنحل ، بيد انهم كانوا مرتبطين جميعاً برباطين وثيقين : الطبابة .. والكتابة . وقد تساءل البعض - كما قد تتساءل ايها القاريء الكريم - آنذاك امن الأنسب تسميتهم بـ (الاطباء الادباء) ام (الأدباء الاطباء) ؟ . ففي اللغة الفرنسية اطلق عليهم - medicins ecrivains وفي اللغة الايطالية - Scriptori medici . ولكن التسمية ليست معضلة تتطلب الحلول ، انما الذي يستثير الأنتباه والاعجاب ذلك الشوق والاندفاع الذي يستشعره بعض الاطباء نحو الأدب والكتابة بالرغم من ضيق اوقاتهم ومسؤوليات مهنتهم الطبية ..

وللاطباء الادباء جمعيات خاصة بهم في فرنسا وايطاليا منذ سنتين . وكان يترأس هذه الجمعية في فرنسا الدكتور لوك دارتني ، وهو طبيب وشاعر وقصاص ومسرحي . ومن مهام الجمعية رعاية ارامل وايتام الأطباء الادباء بالاضافة الى دعم وتشجيع النشاط الأدبي والثقافي والاجتماعي لهم .

الطب .. والأدب في التراث العربي

(*) الاطباء .. والحكماء

(*) ابن ماسويه .. ، حنين بن اسحق .. ، قسطا بن لوقا .. ، الكندي .. ،ابن ربن الطبري .. ، ثابت بن قرة .. ، الرازي .. ، الأصفهاني .. ، ابن سينا .. ، ابن حزم .. ، ابن أبي الصلت .. ، ابن مسكويه .. ، ابن رشد .. ، ابن زهر .. ، ابن أبي اصيبعة .. ، ابن دانيال .



الطب .. والأدب
في التراث العربي

في عصر ما قبل الاسلام ، وفي عهد الحضارة الاسلامية ، كان الانتاج الأدبي العربي يشتمل على الشعر بالصورة العامة الشاملة ، لذا عرف العرب ولغتهم بأنها «لغة الشعر» . اما الكتابات الأخرى فقد اتخذت طابعاً آخر هو العلوم الانسانية والطبيعية على اختلافها .. وبقيت للخطابة والنثر والقصة والرواية حصص قليلة وفسح محدودة . فلاغرو في ان ينعكس ذلك على ادباء الاطباء ..

وعندما نشير الى بعض مشاهير الاطباء ـ الأدباء واعلامهم من العرب القدامى بعد ظهور الاسلام ، فاننا نعني بهم اولئك الاطباء ـ العلماء الذين مارسوا الطب مع العلوم الاخرى وفي مقدمتها الفلسفة والتاريخ والفقة وعلم النفس والموسيقى والفلك والصيدلة والكيمياء والفيزياء .. الخ . ولا نقدم امثلة عن اطباء دبجوا النثر الأدبي بشكل رسائل وخطب .. ، ولانعدم بينهم من قرض الشعر ، فالشعر كان لغة تخاطب يومية وفاكهة للمجالس ونغماً للانشاد . لذا ، فمن العسير انتخاب طبيب عربي قديم مارس الأدب بمعناه الحديث ـ اي باقتصاره على فنون القصة والمسرحية والشعر والرواية و النثر ـ فأطباء العرب كانوا جامعين موسوعين بثقافاتهم وعلومهم وانشطتهم .

ونتيجة لتلك المواصفات والقابليات المتعددة الاوجه فان من الاطباء من غلبت عليه صفة دون صفات اخرى وذاع صيته في اختصاص واحد او اثنين ، ونسي الناس مواهبه الاخرى . بل ان بعضهم غلبت عليه صفة الادب او الفلسفة فكاد الناس ان ينسوا انه طبيب ، ان لم يجهلوا ذلك تماماً . فأمية بن أبي الصلت ، الشاعر المعروف ، كان طبيباً ايضاً ، وابن دانيال ، الطبيب الكحال الموصلي ، كان شاعراً وكاتباً قديراً ، وابن زهر الاندلسي كان طبيباً وشاعراً وسياسياً ، وابن سينا كان شاعراً متمكناً ايضاً ، الا ان علو شأنهم في الطب غطى على مواهبهم الأدبية . وسنأتي على بعض نماذج من شعر (ابن سينا) عند التحدث عنه .. ولكن لاضير من ذكر ابيات منه هنا .

قال ابن سينا في الخمرة :

حـيـهـا في الكـأس صـرفـا غـلبـت . ضـوء السـراج

ظنـهـا في الكـأس نـاراً فـطفـاهـا بـالمـزاج

وقال كذلك :

شـربـنـا عـلى الصـوت القـديـم قـديـمـة لكـل قـديـم أول هـي اول

ولو لم تـكـن في حـيـرة قـلت انـهـا هـي العـلة الاولى التـي لاتـعـلل

ان نقص المصادر عن نتاج الاطباء العرب القدامى يرجع الى ضياع قسم كبير منها نتيجة الحروب والدمار والسرقات والتشتت بين مكتبات العالم ، والى تباطوء حركة تحقيق التراث العربي وجمعه ونشره . وما لدينا الآن من مصادر ، هي غيض من فيض ، وبعضها الآخر هي مستقاة بالأصل من انتاج العلماء العرب ومن خزائن مكتباتهم .

ولعل من المفيد ذكر بعض المصادر القديمة من علماء العرب وحكمائهم وأطبائهم ـ على سبيل المثال لا الحصر . فقد ذكر (ابن أبي اصيبيعة) في كتابه (عيون الانباء في طبقات الاطباء) اسماء اكثر من اربعمائة طبيب عربي . وفي (فهرست) ابن النديم فصل كامل عن حياة الاطباء العرب ومؤلفاتهم ، اما (ابن القفطي) فقد اشار الى اكثر من ثلاثمائة طبيب عربي من شرح واف لمؤلفاتهم في كتابه (اخبار العلماء باخبار الحكماء) . وتطرقت كتب السيرة والتاريخ الى العديد من حياة الاطباء العرب مثل كتب (ابن خلدون) ، والمقريزي في (العقود) وابن خلكان في (وفيات الاعيان) وياقوت الحموي في (معجم الادباء) اضافة الى مصادر اخرى مثل (الطبري) و (القفطي) في (تاريخ الحكماء) و (ابن الخطيب) في (الاحاطة) والبيهقي في (حكماء الاسلام) والالوسي في (بلوغ الادب) والأب لويس شيخو في (شعراء النصرانية) وجرجي زيدان في (تراجم مشاهير الشرق) . وقد ذكرنا (معجم ادباء الاطباء) لمحمد الخليلي كأحد المؤلفات الحديثة .

الاطباء .. والحكماء :

كان البعض يطلق على الطبيب اسم «الحكيم» والمقصود بهذا التعبير يبدو لأول وهلة ، امتياز الطبيب بالحكمة ذات المدلول الفلسفي والاجتماعي . وما نعرفه عن أطباء العرب البارزين يؤيد كون الطبيب حكيماً وخبيراً بالحياة والناس والمجتمع .

لكن «الحكيم» في المفهوم القديم يعني أيضاً «المتطبب» الذي يمارس الطب بعد تجربة وتدرج شخصي او عائلي . اما «الطبيب» فهو الذي يتتلمذ على استاذ آخر اقدم منه في الطبابة ليتسلم منه «ترخيصاً» ـ او شهادة واجازة بممارسة المهنة كما حدث ذلك فعلاً في العصر العباسي فأصبح الطبيب يمر بامتحان واختبار . وكان الممتحنون آنذاك من مشاهير الاطباء المتمرسين الاساتذة من امثال جبرائيل بن بختيشوع والرازي وابن ماسويه .

ويكفي ان اذكر هنا ـ باستعراض سريع ومكثف ـ سيرة اطباء عرب اشتهروا بمجالات اخرى اضافة الى الطب فحملوا عن جدارة صفات العلماء الموسوعيين (الأدباء ...) :

(١) يوحنا بن ماسويه (٧٧٧ ـ ٨٥٧ م)

كان ماسويه (الأب) طبيباً كحالاً تتلمذ في بيمارستان جندنيسابورثم عمل فيه واداره لمدة ثلاثين عاماً . اما ابنه يوحنا فقد ترعرع في ظل الخلافة العباسية واصبح طبيباً شهيراً . ونبغ في الترجمة حتى ان الخليفة هارون الرشيد اوكل اليه ترجمة الكتب اليونانية القديمة الموجودة في عمورية وبلاد الروم .

كان يوحنا مسيحياً سرياني المذهب فصيحاً بالعربية . وراس المدرسة الطبية ببغداد وكان الطبيب الخاص للرشيد ثم للامين والمأمون والمعتصم والواثق حتى ايام المتوكل . وكان يميل الى تشريح الانسان ، حتى قيل انه تمنى لو اجرى التشريح على ابن له كان بليداً لكي يتوصل الى معرفة اسباب بلادته . وهذه نزعة علمية عميقة اصبحت مبدأ في العالم المعاصر والبلاد المتقدمة .

عرف عنه سمو الخلق والفضيلة وعلم المقام . له تصـانيف وتراجم مشهـورة . الف ووضع وترجم حوالي ٤٦ كتاباً . ومن كتبه (البرهان) و (البصيـرة) و (الكحال والتمـام) . وفضله على تطور الطب الاسلامي معروف . توفي في سامراء .

(٢) حنين بن اسحق (٨٠٩ - ٨٧٣ م)

وهو أبو زيد حنين بن اسحق العبادي من (آل حنين) الذين اصلهم من نصارى الحيرة التي نشأ فيها حنين كذلك . اقام بالبصرة وتتلمذ على الخليل بن احمد الفراهيدي (وينفي ذلك مؤرخون آخرون) ، ثم انتقل الى بغداد وتتلمذ على (يوحنا بن ماسويه) في الطب وكان يدير اشهر المدارس واكبرها في الطب آنـذاك . وكان يجتمـع الى اهل الادب ويجـاذبهم الحديث ويناقشهم وقد نفر منه وعاكسه بادىء الأمر معلمه يوحنا بن ماسويه بسبب اسئلته المحرجة احياناً لذا رحل حنين الى اليونان غضباً من يوحنا ومكث في بلاد آلاغريق ثلاث سنوات تعلم فيها الكثير .

كان حنين فصيحاً بارعاً في اللغات العربية والسريانية واليونانية . واصبح اعلم زمانه بتلك اللغات اضافة الى الفارسية . لذلك امتازت تراجمه بالدقة والغزارة في العدد والنـوعية وتناولت مواضيع الطب (وخاصة امراض العيون) والصيدلة والتاريخ والفلسفة .

وكان حنين بن اسحق من اعظم الاطباء العرب لهم الفضل - مع يوحنا بن ماسويه - في تأسيس المرحلة الاولى للطب العربي وهي مرحلة الترجمة والتأليف .

وكان حنين مترجماً ومؤلفاً . كتب ووضع ٨٤ كتاباً . وترجم عن جالينوس ٩٥ كتاباً الى السريانية منها ثلاثون كتاباً الى العربية . كما راجع ترجمة تلامذته والتي قاربت السبعـين كتاباً . وقد ضاعت معظم مؤلفاته السريانيـة . ومؤلفـاته بـالعربيـة تتناول الطب ، والطب البيطري والاغذية وقصص الفلاسفة والمنطق وعلم النحو ومسائل الدين . ومن كتبه (الاثنا عشرة مقالة في طب العيون) و (الحجة والجواب) و (اختيار ادوية علل العيون) و (تـركيب العين وعلاجها) و (رسالة عن المحن التي حلت به) و (تاريخ الاطباء والحكماء) وجدت منه نسخة مخطوطة في مكتبة (حكيم أو غلي) رقم ٦٩١ . اما (مقالات حنين العشرة) فقد حققها ماكس مايرهوف .

وكان حنين متدينا ورعا يحترم قوانين المهنة وآدابها . ويروى ان الخليفة المتوكل (وقيل المأمون) اختبر امانته الطبية يوماً عندما طلب منه تحضير دواء يقتل به عدوا له «فامتنع حنين واعتذر بقوله انه لايعرف غير الادوية النافعة . ثم شرح للخليفة ان ما منعه من تلبية طلبه هو الدين .. والصناعة . فالدين يامر بفعل الخير والصناعة تمنع من الاضرار بابناء البشر .

وتوفي في بغداد ، وقد احتفل العراق بذكراه المئوية الحادية عشرة في كانون الاول ١٩٧٣ م في بغداد والموصل . ودعت حكومة الثورة رجال الفكر والطب والصيدلة من العلماء العرب والمستشرقين واقامت مهرجاناً مشهوداً . وقد اضيف الى المهرجان احتفال بذكرى (مار افرام) من علماء السريانية كذلك .

(٣) الكندي (٨٠٠ ـ ٨٧٣ م)

هو ابو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح ، احد ابناء ملوك العرب . يصل نسبه الى قحطان . وجده (الاشعث بن قيس) من اصحاب النبي محمد (صلعم) . وكان قبل ذلك ملكاً على جميع كندة) عرب جنوبي الجزيرة العربية الذين اشتهر منهم امرؤ القيس بن حجر .

ولد الكندي في الكوفة ، وتعلم في البصرة ثم في بغداد ، ثم نهل من مؤلفات اليونان . برع في الطب ، لكنه اشتهر بالفلسفة ، واعتبر فيلسوف العرب الاول اذ بدا فلسفته بثقافة عربية اسلامية . حذا حذو ارسطو بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية واضاف اليها المعرفة الفارسية والهندية . ومتخصص باحكام ومختلف العلوم السائدة .

كان الكندي من اتباع المعتزلة ، واحتل منزلة عظيمة لدى الخليفة المأمون ثم لدى المعتصم وقد ترجم الكثير من كتب الفلسفة واوضح الشكل ولخص المستصعب وبسط المعقد . الف واعد اكثر من مائتي كتاب ورسالة ، منها اثنان وعشرون كتاباً في الطب . وكان حجة في الفلك ورياضياً وميالاً لعلوم الطبيعة ، وكان موسوعيا .

(٤) قسطاً بن لوقا البعلبكي (٨٢٠ ـ ٩١٢ م)

طبيب ومترجم ، اشتهر بالفلسفة والهندسة والحساب وعلم الهيئة (الفلك) والموسيقى .

ونقل الى العربية قسطاً من تراث اليونان الفكري استقاه من آسيا الصغرى . صنع الآلات الفلكية وله مؤلفات عديدة منها (المرايا المحرقة) و (الفلاحة اليونانية) ...

(٥) علي بن ربن الطبري (٨٢٠ - ٨٩٠ م)

طبيب شهير ، طرق ابواباً شتىٰ من المعرفة الانسانية اهمها علم النفس والحيوان والمعادن والفلك والاجنة . وكتابه (فردوس الحكمة) كتاب جامع يضم فصولاً ومقتطفات ودراسات ومختصرات تشمل تلك المعارف .

(٦) ثابت بن قرة (١٨٢٦ - ٩٠١ م)

هو الحسن ثابت بن قرة من علماء العرب واطبائه الاعلام . ولد بحران (موطن الصابئة القديم) . ودرس الفلسفة والرياضيات والطب . وعمل صيرفياً . وبرع في الفلك والطب والهندسة التحليلية . وكان يجيد اللغات السريانية والعبرية واليونانية فترجم والف منها الكثير . وفيها ما يخص الصابئة وديانتهم .
ويعتبر تتمة وخاتمة لسلسلة المترجمين العرب الرواد بعد حنين بن اسحق . وضع في الطب ٤٥ كتاباً ، ونسب اليه مائة كتاب من تأليف وترجمة . وله رسائل في أمور الموسيقى والعروض . من اشهر مؤلفاته كتاب (الذخيرة) الذي يبحث في مختلف الامراض . علق عليه الأب (انستساس الكرملي) وكانت لديه نسخة شخصية اهداها لمكتبة المتحف العراقي . وقد طبع الكتاب بمصر عام ١٩٣٨ .

(٧) ابو بكر الرازي (٨٤١ - ٩٢٣ م)

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي . ولد في (الري) في فارس قرب طهران والتي ولد فيها هرون الرشيد . وتعلم الطب في عمر متأخر (وهو في الثلاثين) وابلغ الطب العربي ذروته العالمية . وقيل في ذلك : «كان الطب معدوماً فأوجده أبيوقراط ، وميتا فاحياه جالينوس ،

ومشتتاً فجمعه الرازي ، وناقصاً فاكمله ابن سينا» وقال (القفطي) ان الرازي هو طبيب المسلمين من غير منازع . واشتهر كذلك بـ «جالينوس العرب» .

وللرازي تماثيل في جامعة (برنستون) الامريكية ، وفي الاتحاد السوفيتي وبلاد شرقي اوربا . وتوجد جوائز علمية وحلقات وندوات دراسية تقام باسمه وعلى شرفه وذكراه .

امتاز الرازي بالملاحظة السريرية الدقيقة ، واهتم بالعقليات ، وبقيمة الانسان وأهمية العقل . وامتاز بمنهجه العلمي في البحث ونظرته الشمولية واكد على ضرورة كون الطبيب عالماً وفيلسوفاً لا طبيباً فحسب .

وكان غزير الانتاج والكتابة . الف ١١٧ كتاباً ورسالة وكتب في الطب والصيدلة وعلم الادوية (الاقرباذين) وفي المعادن وتصنيفها ، واجرى التجارب على الحيوانات التي اصبحت الآن من اهم ركائز البحث العلمي في علوم الاحياء والطب وعلم النفس (الجراحة التجريبية) . وصنف كتباً كثيرة تزيد على مائة وعشرين كتاباً (وقيل ٢٢٧ كتاباً) . وقد فقد معظمها لكن اسماءها مذكورة في فهرست ابن النديم وطبقات ابن ابي اصيبعة .

ومن كتبه : (المنصوري) الذي صنفه للمنصور بن اسماعيل صاحب خراسان وجمع فيه النكت والامثال والمختارات المختصرة لعلوم الطب في عشر مقالات . واعتمد احد اجزاء هذا الكتاب منهجاً للتدريس في جامعة (توبنجن) في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي .

اما ابرز كتبه فهو (الحاوي) ويتألف من ٢٥ قسماً . وهو اكبر حجماً واوسع مادة من (قانون) ابن سينا . وله كتاب في (البيمارستانات) اي في هيكلها وتنظيمها وترتيبها اذ كان رئيساً لبيمارستان العضدي .

ومن كتبه الاخرى (الخريف والربيع) يبين فيه علاقة المرض بالفصول والمناخ . وفي كتابه (سر الاسرار) سار على منهج واضح ومتين خلاف ماسار عليه في (الحاوي) الذي ظهر بعد وفاته وكان لابن العميد الفضل في جمع مسوداته ، لذا بدا على الكتاب عدم الانتظام .

وللرازي مآثر في علم النفس والطب النفسي اذ عرف مشاعر النفس والتغير النفجسماني والهواجس والايحاء والاسترخاء وتأثير الموسيقىٰ على اخلاط الجسم وامزجة الانسان . واوجب على الطبيب ان يكون «طبيب الروح» . ووضع الكيمياء والتفاعلات الكيمياوية في موقع مهم من جسم الانسان .. وهو الاتجاه الحديث المعاصر في مختلف فروع الطب . وادخل المستحضرات الكيمياوية بين المفردات الطبية .

وقد عمر الرازي كثيراً (٨٣ سنة) ومات اعمى في بغداد وكان كريماً وعطوفاً على المرضى

والفقراء .

(٨) ابو الفرج الاصفهاني

ولد عام ٩٦٧ م ، واشتهر بكتابه (الاغاني) الذي يعتبر من اغنى المصادر العربية في التراث . وكان الاصفهاني يمارس الطب الا ان براعته وعبقريته في الأدب والتاريخ والفلك والبيطرة طغت على سمعته كطبيب . واسلوبه علمي دقيق ولغته سهلة انيقة من كتبه الاخرى (مقاتل الطالبيين) .

(٩) ابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٦ م)

اشهر من ان يعرف به ، فهو ابو علي الحسن بن عبد الله بن الحسن بن علي الذي احتفل العالم العربي بذكرى مرور الف عام على ولادته ، والذي استشهد باقواله العالم الايطالي (فيراري) عام ١٤٧١ م اكثر من ثلاثة الآف مرة ، بينما استشهد بالرازي اكثر من الف مرة وبابيوقراط ١٤٠ مرة فقط .

كتبت عنه المجلدات الضخمة في الشرق والغرب ، ولذا فمن الابلغ ذكر المهم من مزاياه العديدة والتي تتعلق (بابن سينا) الاديب ، الشاعر ، الفيلسوف ، الفقيه . وساكتفي بلمامة سريعة عن طرائفه والجديد والنادر من آثاره .

ترعرع ابن سينا في بيت فلسفة وعلم مشبعاً بالدعوة الاسماعيلية بعد ان ولد في (بلخ) من قرى خراسان في ظل الدعوة السامانية في فارس التي كانت شبه مستقلة عن الخليفة العباسي ببغداد .

حفظ القرآن وهو في العاشرة من العمر وتعلم اللغة والفقه والمنطق والهيئة والجغرافية والدين والرياضة ومابعد الطبيعة وعلم النفس قبل الثانية عشرة . وكان لاينام الليل بطوله احياناً . ويقضي النهار بالقراءة والتحصيل . واقتنى الكتب وجمع مكتبة عامرة بكتب العلم والحكمة . واطلع على المراجع في الطب منذ الخامسة عشرة ووجد ان الطبابة ليست من العلوم الصعبة ، فاعتمد على نفسه اولاً ، ثم على الاطباء المعروفين في عصره .. ، واشتهر في السابعة

عشرة بالتطبيب فعلم غيره وعالج المرضى وقادته شهرته في الطب الى مجالس الامراء .. والى السياسة .

كان (الشيخ الرئيس) ابن سينا يحب الدنيا والمتعة . قال عنه (الجوزجاني) انه قوي .. شهواني .. مزاجي .. وقال هو عن نفسه انه يحب الحياة عريضة قصيرة وليست ضيقة طويلة .. ومات فعلاً وهو في نحو السادسة والخمسين من عمره بعد حياة حافلة بالنشاط الدائب واللهو والمخاطر والسياسة . وكانت شهرته مصدر مشاكله حتى تعرض للقتل والسجن واصبح وزيراً وعانى الكثير من جراء افكاره الحية المتقدمة .

أدبــــه :

اتقن ابن سينا اللغة العربية ودرسها وبرع في الكتابة بها ، وكان عظيم الذكاء والثقة بالنفس . قرض الشعر واجاد فيه ، في الجوانب التي كانت تتصل بعلمه ونبوغه ، ولم ينشد الشعر للتكسب ، وطرق ابواب الحكمة والغزل في اشعاره ، كما ضمن شعره المعلومات الطبية والنصائح والارشادات الصحية . ونظم الشعر بالفارسية ايضاً .

قـــال :

انمــا النفس كـالزجـاجـة / والعـلــ
م ســراج وحـكـمـة اللّه زيـت
فـاذا أشـرقـت فـانـك حــي
واذا أظلمـت فـانـك مـيـت

ومن شعره القصيدة العينية المشهورة باسم (النفس) وقد استأثرت باهتمام الباحثين في الشرق والغرب ، قديماً وحديثاً وفيها يقول :

هـبطت اليـك مـن المحـل الأرفـع
ورقـاء ذات تـعـزز وتـمـنـع
مـحـجـوبـة عـن كـل مـقـلة نـاظر
وهـي التـي سـفـرت ولم تـتـرفـع
وصـلـت عـلى كـره اليـك وربـمـا
كـرهـت فـراقـك وهـي ذات تـوجـع

انفت وما الفت فلما واصلت
الفت مجاورة الخراب البلقع

واظنها نسيت عهوداً بالحمى
ومنازلاً بفراقها لم تقنع

.... الى أن يقول :

وهي التي قطع الزمان طريقها
حتى لقد غربت بغير المطلع

فكأنها برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ومما يدل على مدى قوة القصيدة وذيوعها وجمالها انها قلدت او بالاحرى «عورضت» على نفس الوزن من قبل شعراء معاصرين ذائعي الصيت مثل احمد شوقي وايليا ابو ماضي[1] .

يقول احمد شوقي :

ضمي قناعك ياسعاد او ارفعي
هذي المحاسن ماخلقن لبرقع

الضاحيات الضاحكات ودونها
ستر الجلال وبعد شأو المطلع

ليس الحجاب لمن يعز مناله
ان الحجاب لهين لم يمنع

الى أن يقول :

ذهب ابن سينا لم يفزبك ساعة
وتولت الحكماء لم تتوقع

فمحمد لك والمسيح ترجلا
وترجلت شمس النهار ليوشع

---

(١) معجم أطباء الأدباء ، محمد الخليلي ،١٤٦ .

مـا بـال احـمـد عـي عـنـك بـيـانـه
بـل مـا لعـيسى لم يـقـل او يـدعـي

ولسـان مـوسى احـل الأ عـقـدة
مـن جـانـبـيـك عـلاجـهـا لم يـنـجـع

اما شاعر المهجر (ايليا ابو ماضي) فيقول في قصيدته (العنقاء) :

انـا لسـت بـالحـسـنـاء اول مـولـع
هـي مـطمـع الدنـيـا كـمـا هـي مـطمـعـي

انـي لذو نـفـس تـهـيـم وانـهـا
لجـمـيـلة فـوق الجـمـال الابـدع

ويـزيـد في شـوقـي اليـهـا انـهـا
كـالصـوت لم يـسـفـر ولم يـتـقـنـع

كما جاراها الشيخ محمد جواد البلاغي صاحب (الهدى) النجفية .. وغيره ..

ـ والحب عند ابن سينا هو اما عشق او شوق . والعشق سرور بحضرة المعشوق في ذهن العاشق . اما الشوق محاولة اتمام السرور بالمتعة الحسية الواقعية (في الاشارات والتنبيهات) .

آثـــاره :

كثيرة . كتب حوالي (١٩٠) كتاباً ورسالة . كتابه (القانون) في الطب موسوعة المعارف الطبيعة العربية التي علمها ابن سينا لمريديه مع ملحقات في التجارب والمعالجات . وضاع منها الكثير . وبقي (القانون) مرجعاً لأوربا في الطب لمدة اربعة قرون . وترجم الى عدة لغات ابتداء باللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي . ودرس في جامعات أوربا مثل جامعة (مونبلييه) و (لوفان) و (فينا) و (فرانكفورت) . كما نقل الى العبرية . وطبع أربعين طبعة بحلول القرن السادس عشر . وقد نقد ابن سينا الشعوذات والخرافات لانه اتبع المنهج العلمي الطبيعي بعيداً عن الاوهام والاباطيل فكان اوضح بكثير من جالينوس .

ومن كتبه الاخرى : (المجموع) وهو مجموعة علوم مختلفة و (الشفاء) في الالهيات

والطبيعيات . و (النجاة) مختصر لكتاب الشفاء . وفي كتابه (منطق المشرفيين) أو (الحكمة الشرقية) ينقص آراء جماعة المشائين من الاغريق . وكتابه (الاشارات) في المنطق والالهيات . وله مجموعة كبيرة من القصص والرسائل في الفقه والحكمة والتصوف والرياضيات والأدب والموسيقىٰ قسم منها مطبوع وآخر مخطوط في المكتبات الشرقية والأوربية مثل (قصة الطير) و (حي بن يقظان) و (قصيدة النفس) و (رسالة القضاء والقدر) ورسالة (في المبدأ والمعادة) و الاخلاق) و (القوى الانسانية) وفي (الاجـرام العلوية) و (الحـدود) و (النبوءات وتـأويل الرموز) وفي (العشق) و (الزيارة) و (وقوف الأرض في الفضاء) . وقد ضاع قسم من مؤلفاته وربما اتلف عمداً .

افكاره واصحابه ونهايته :

تعرض ابن سينا ككل البارزين المتفوقين للشنآن والحسد والعداوة واتهم بانه ثرثار ـ اي مسفسط كثير الطنطنة قليل الفائدة مثل ابن سبعين ! .

اما ابن زهر الاندلسي فقد قال عن (القانون) بانه لايسوى ثمن الورق الأبيض الذي كتب عليه !! .

ويعتبر ابن سينا مؤسس «المدرسـة الاشتراكيـة» في الفلسفة وهي التي جمعت بـين الفلسفة والدين والعقل والحدس . وقد ناقش آراء افلاطون وارسطو وافلوطين والفارابي وكتب في مسائل المادة والعقل والوجود والحركة والخير والشر والنفس وحرية الأنسان . وهو بمثابة تلميذ للفارابي في الفلسفة الاسلامية . واكثر خلافاته مع فلاسفة الاغريق تدور حول الدين لأنه اعتقد بعدم تعارضه مع العقل .

وفي مجال علم النفس والطب النفسي كانت له ملاحظات قيمة لاتزال صحيحة ومثبتة في علم النفس الحديث . فقد عرف تأثير الانفعالات على وظائف الاعضاء وخاصة نبضات القلب . واتبع الأسلوب النفسي في علاج مرضاه . ووصف القلق والكآبة والميلانخوليا والميول الانتحارية بدقة وحذق . واعتقد ان النفس كمال للجسم الحي .. وهو صورة لها . وجعل النفس انواعاً :

نباتية وحيوانية وانسانية ولها المشاعر والملكات . واعتقد ان النفس تصدر عن العقل (وهذا احدث الآراء في علم النفس المعاصر) .

من اصدقائه واتصالاته : (البيروتي) والمتصرف (ابو سعيد بن ابي الخير) و (ابن مسكويه) . ومن تلامذته (جاماس الحكيم) و (الجوزجاني) و (ابو القاسم الكرماني) و (ابو عبد الله المعصومي) . واعتبره (عمر الخيام) استاذاً له .

واخيراً ، اصيب بعلة القولنج (التهاب مزمن بالمجاري البولية او الامعاء الغليظة) ، ثم بنوبات الصرع بعد الخامسة والأربعين وبالصداع المستمر . لكنه عالج نفسه بالعلاجات السريعة الدقيقة . وانهكه المرض والنشاط الجنسي فتكررت انتكاساته واهمل نفسه قائلاً : «المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير والآن فلا تنفع المعالجة ..» . وطفق يوزع ثروته على الفقراء والمساكين . واعتق عبيده ثم اغتسل ومات . وقيل انه مات محبوساً في يوم جمعة . وقيل انه توفي بهمدان او اصفهان او المغرب (في الاندلس) او سمرقند في روايات لم يرد مايقوم عليها دليلاً بيناً .

(١٠) ابن حزم الاندلسي (٩٩٤ - ١٠٦٣ م)

ابو محمد علي بن حزم الظاهري الاندلسي من القرن الخامس الهجري ، ولد في قرطبة بالأندلس . كان طبيباً ، الاّ ان علمه وفقهه ، وادبه كان اظهر من طبابته . بلغت مؤلفاته الاربعمائة مؤلف ، وهو صاحب كتاب (طوق الحمامة) الشهير .

كان ابن حزم الطبيب شاعراً واديباً وفقيهاً وعالماً في الحديث والتاريخ . وربما لم يبزه في جمع اخبار العرب ونسبهم الا ابو جعفر محمد الطبري .

قال عندما احرق (المعتضد بن عباد) كتبه في اشبيلية :

دعوني من احراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل ان انزل ويدفن في قبري

(١١) احمد بن محمد بن مسكويه :

من القرن الخامس الهجري . طبيب ومؤرخ ولغوي لكن براعته في التاريخ واللغة فاقت براعته طبيباً . وهو شاعر ايضاً وفيلسوف ، ومشتغل بالكيمياء ، عرف عنه رقة الطبع وبليغ الحديث والظرف .

(١٢) امية بن ابي الصلت الأشبيلي (١٠٦٧ - ١١٣٤ م)

جده ابو الصلت ، من اطباء القرن السادس الهجري . ولد في شرقي الاندلس في بلدة (دانية) . ومهر في علوم الطب والطبيعة والرياضيات والفلك والموسيقى . ولكن ادبه وشعره وفصاحة لسانه طغت على حذقه في الطبابة وقد عاش في مصر ايام (الملك الآمر) ومات بتونس .

ومن كتبه : (رسالة في الموسيقى) و (الادوية) .

قال يصف قصراً بمصر :

تتقابل الانوار في جنباته
فالليل فيه كالنهار المشمس
وهواؤه من كل قد أهيف
وقراره من كل خد أملس

(١٣) ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨ م)

هو ابو الوليد محمد بن احمد . ولد في قرطبة وتوفي في مراكش . ذاع صيته في الفلسفة ، ولم يعرف كطبيب الا في مجتمعه ومن قبل معارفه واصدقائه . وقد ولي القضاء في قرطبة .

اتصل بابن طفيل الذي اشار عليه بشرح كتب ارسطو .. ، ولمنهجه في التفكير والمناقشة الحرة والمسائل التي عالجها مثل قدم العالم ووحدة العقل الفعال المشترك بين البشر جميعاً ونفيه خلود الذات اتهم بالزندقة . وكتاباته تمتاز بالعمق والمتانة .

ومن مؤلفاته الشهيرة (تهافت التهافت) و (تلخيص كتاب المقولات) و (تفسير ما بعد الطبيعة) التي نشرت نصوصها من قبل الأب بويج اليسوعي في (خزانة فلاسفة العرب) . ولم يبق من مؤلفاته بالعربية الا القليل بينما رجعت الينا منقولة عن اللاتينية والعبرية .

تنازع على ابن رشد الاوربيون ، لان بعض المستشرقين منهم اعتبره اوربي الفكر اكثر منه شرقياً مما يدل على مدى تأثيره في الفكر الاوربي . وقد ترجمت اغلب كتبه الى اللاتينية ودرس في جامعات السوربون والدومينيكان وباريس وروما وبادوفا . وترجم له ميخائيل سكوت اول كتبه . ولبراعته في شرح ارسطو لقب بـ «الشارح» . وقد تأثر به الفيلسوف (بيكون) وتأثر به دانتي في (الكوميديا الالهية) .

(١٤) محمد بن عبد الملك بن زهر الاندلسي

من القرن السادس الهجري . طبيب ، اديب ، شاعر ، ، وزير خدم دولة المرابطين ودولة الموحدين . حفظ شعر (ذي الرمة) برمته . وقد ولد في اشبيلية وتوفي مسموماً في مراكش .

من اشعاره المعروفة والملحنة كموشحات ذائعة الصيت وشعبية التداول :

ايها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تستجب
ونديم همت في غرته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكا
وسقاني اربعاً في اربع .. الخ ..

(١٥) ابن ابي اصيبعة السعدي

من القرن السابع الهجري . هو ابو العباس موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي . تعلم الطب على ابيه في (صرخد) ، ثم في البيمارستان الناصري في القاهرة . وقد

ولد في دمشق عام ٥٩٦ هـ . وهو المؤرخ الشهير ومؤلف الكتاب القيم عيون الانباء في طبقات الاطباء) الذي يعتبر من ابرز المصادر العربية عن الاطباء . وكان شاعراً ايضاً. وترجم كتابه الى اللغات الفرنسية وغيرها من لغات العالم المتحضر .

(١٦) محمد بن دانيال

محمد بن دانيال الموصلي الخزاعي (من القرن السابع الهجري) . ولد في الموصل ونشأ وتوفي في القاهرة عام (٧١٠) هـ . وهو طبيب كحال . كان عالماً في الضوء . وله مقالات في خيال الظل (القراقوز) . اشتهر في مجتمعه بنشره العذب ونوادره الطريفة . كتب الروايات الهزلية والمسرحية ايام الملك الظاهر بيبرس عام ١٢٦٧ م . ونظم الشعر في الغزل والنوادر . وكان نثره مسجعاً . كان شعره ماجنا واستاذه الشاعر (اللؤلؤ الفهري) . وصفه احد نقاد القرن العشرين بانه كان رائد الكتاب المسرحيين العرب في القرن الثالث عشر الميلادي . ومن مسرحياته في خيال الظل : (عجيب وغريب) و (المتيم) و (طيف الخيال) .. وتناولها بالدراسة المستشرق الالماني (جورج بول كاله) .

أطباء من الولايات المتحدة الامريكية

(*) هولمز .. ، ستيفنز .. ، وليامز .. ، كريكتون .. ،

(*) واير ميتشيل .. ، فرانك سلوتر .



وفي الولايات المتحدة الامريكية وعبر مسيرتها من مرحلة الاستيطان وحروب المهاجرين مع السكان الأصليين من الهنود الحمر .. ، ثم حروبها الاهلية وقضية الزنوج .. ، ثم تطورها الصناعي السريع ... في هذا التاريخ القصير ، ظهر ايضاً ادباء وكتاب سجلوا انطباعاتهم ومشاعرهم تجاه الحوادث والازمات .. وظهر من بين الاطباء شعراء وروائيون ومؤرخون نذكر منهم :

الدكتور (اوليفر ويندل هولمز) ـ O . W . Holmes

١٨٠٩ ـ ١٨٩٤ م صاحب الرسائل البليغة في النثر . وضع هولمز بضع روايات مثل (الزي فينر) و (الملاك الحارس) و (الحقد القاتل) . وكان طبيباً عالماً ايضاً ، وهو الذي اكتشف وبائية مرض الحمى القرمزية قبل الدكتور (سيميلوايز) .

اما الدكتور ستيفنز C . A Stephens (١٨٤٤ ـ ١٩٣١)

كان من القلائل الذين طغت شهرتهم الادبية على شهرتهم الطبية في امريكا . وقد شغل منصب المحرر الرئيس في مجلة (رفيق الشباب) ـYouth's Companion وهي من المجلات المحبوبة والواسعة الانتشار . وقد ابدى جهوداً علمية في علم امراض الشيخوخة Gerontology والف وكتب المقالات في هذا الموضوع .

ومن شعراء امريكا الاطباء ايضاً كان الدكتور وليامز ـ W . C . Williams والدكتور مور M . Moore الطبيب النفسي . وكتب (مور) النثر ايضاً ، ومن كتبه (قصيدة الكاتب) ـ Sonnet Writer . امـا (وليامـز) فقد عبـر عن امتزاج الطب بـالأدب في قصيدتـه الشعريـة (الزهرة الصفراء) .

اما الطبيب المعاصر (مايكل كريتون)

فهو روائي ومؤرخ يمزج بين الحقيقة والخيال على غرار (جرجي زيدان) ويعرف كيف

يصنع بمهارة مواقف التوتر والاندهاش لاستقطاب اهتمام وشوق القـارىء . ومن رواياتـه التاريخية التي اكتسبت شهرة عالمية هي (سلالة اندرميدا) .

وتدور الرواية حول اميرة حبشية اسيرة ينقذها البطل (بيرسبيوس) ويتزوجها . ويصف اثناء ذلك مخاطر المكان ووحشته وما صادفه من حيوانات رهيبة حامت حولهما . وقصته الثانية هي (سرقة القطار الكبرى) المعروفة ، وتجري احداث القصة في لندن المعتمة المليئة بالاقذار والظلام وبالمتناقضات والاضواء مثل الارستقراطية والفقر المدقع والقسوة والانحلال الخلقي المبطن بالحشمة والطهارة «الفكتورية» . امـا اغرب روايـاته فهي (آكلة لحـوم الاموات) . وتتطرق القصة الى مسائل تاريخية تتعلق بمؤرخين ورحالة عرب دونوا وقائع وحياة آكلة لحوم البشر من الموتى . ويذكر الدكتور الأديب صفاء خلوصي كيف ان الرواية تعتمد على مخطوطة (ابن فضلان) وقصة سفره الى بلاد البلغار في روسيا (وهي ليست بلغاريا الحالية) في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله وكيف التقى بالقراصنة الاسكندنافيين (وهم آكلة لحوم الموتى) وخاض معهم صراعاً وجدالًا فكرياً . والشيء الذي يهم القـارىء العربي هـو مضمون ذلك النقاش الذي يبرز كيف ان الكاتب الطبيب بدا متحيزاً ومخدوعاً بحضـارة (الفايكنغ) الذين نسب اليهم العراقة والقدم والابتكار قبل الفراعنة والأكديين والسومـريين فيغـالط التاريـخ العربي والشرق اوسطي .

(واير ميشيل)
الشاعر .. الجراح ، الروائي ... البحاثة
داعية الضمان الصحي والاجتماعي

«عبقري في الطب .. ومتضلع من الأدب» .. ، وهذا هو الدكتور :سيلاس واير ميشيل) – Silas Wier Mi tchel الذي كان فريد عصره لبضعة عقود من التاريخ الطبي والادبي للولايات المتحدة الامريكيـة عندمـا كانت الدولة تـدافع عن المغلوبـين والكادحـين والزنوج ، وتـؤمن بالديمقراطية الحقة .

بلغت مجموعة كتاباته التي نشرت كاملة ستة عشر (١٦) مجلداً . وكتب عنه الأديب (وسلر) Osler يقول : «قل ما عاش رجل حياة عامرة مليئة مثل واير ميشيل» .

وكتب عن نفسه يقول وهو في سن الثامنة والستين : « .. ندمت على اشيـاء كثيرة لم اجربها في حياتي ، ولكني آسف على شيئـين : انني لم اركب المنطاد ، ولم ادخـل معركـة حقيقية» .

لكن واير ميشيل اكتشف وابتكر وكتب كثيراً عن الحرب وجروحها وشخوصها والآمها ومآسيها بالاضافة الى ذخيرة من متنوعات شعرية وقصصية اخرى . وكان ولعه بالتاريخ ودقته في البحث مثار الاعجاب . ذكر احد المؤلفين انه لم يعثر على ادق معلومات الا في كتيب لواير ميشيل عنوانه (تاريخ الآلات والدقة في الطب) .

مولده .. ونشاته

ولد واير ميشيل عام ١٨٢٩ ، في مدينة (فيلاد لفيا) في الولايات المتحدة الامريكية . وهو ابن (جون كيرسلي ميشيل) الطبيب الذي كان يتعاطى شيئاً من الأدب . وتوفي في ٤ كانون الثاني ١٩١٤ . وفي عام ١٨٤٤ دخل جامعة (بنسلفانيا) ، ثم درس الطب في كلية (جفرسون) الطبية وتخرج فيها عام ١٨٥٠ م بدرجة بكالوريوس بالطب والجراحة . وكان والده استاذاً في تلك الكلية .

وقضى سنة اخرى في فرنسا للتخصص والتدريب باشراف العلامة الفرنسي الفسلجي الشهير كلود برنارد Claude Bernard ، والدكتور (جارلس روبن) .

وكان دقيق الملاحظة ، مولعاً بالابحاث ، يسجل ويجرب ويكتب . وقد انتخب عضواً في اكاديمية العلوم الطبيعية في فيلاد لفيا عام ١٨٥٣ . الا انه قبل ذلك بعام كان قد نشر اول بحث له عن (تكون حامض البول وبلوراته) نشرته له المجلة الامريكية للعلوم الطبيعية وهو لايزال طبيباً حديث التخرج عام ١٨٥٢ م .

وكان جراحاً في الجيش الامريكي اثناء الحرب الأهلية . وعلى الرغم من انه لم يدخل معركة فعلية كما اعترف وتألم لذلك ، الا انه عاش الحرب بكل جوانبها ، وهي التي اوحت له بكثير من قصصه واكتشافاته الطبية وعبقريته في تصوير الشخصيات الانسانية التي مرت به .

وقد تزوج مرتين ، اذ ان زوجته الأولى (ماري ميدلتون ايلوين) توفيت بعد اربع سنوات من زواجهما وولدت له ابنين :

الاول : (جون كيرسلي) ، الذي اصبح طبيباً معروفاً مثل ابيه .

والثاني : (الانجدون ايلوين) ، الذي اصبح شاعراً وروائياً مثل ابيه ايضاً .

وفي عام ١٨٧٠ تزوج من (ماري كادوالادر) التي ولدت له بنتا هي الابنة التي كتب في ذكراها ميشيل قصيدته الشهيرة (غناء فوق قبر ليسيداس) التي تماثل قصة ليسيداس الكلاسيكية .

ولم يقبل ميشيل اي منصب عام ، لكنه كان يستدعى دائماً كمستشار وخبير في المسائل العامة لبلدته . واسهم في ادارة ميزانية جامعة بنسلفانيا ، ، واشترك في تطوير كلية الطب وشعبة الصحة العامة فيها . وقد حاز على درجة الدكتوراه الفخرية (M . D) من جامعة (بولونا) Bologna عام ١٨٨٨ ، وعلى درجة دكتور شرف بالحقوق (LLD) من جامعة ادنبره . واصبح اول رئيس لجمعية كتاب فرانكلين Franklin Inn في فيلاد لفيا ، وظل رئيساً لها حتى وفاته .

وكان عضوا لعدة جمعيات امريكية واجنبية ، ونال عدة جوائز ونياشين تقديرية .

وقد اصبح استاذاً في كلية الطب في مستشفى فيلادلفيا الكبير .

ميشيل الشاعر :

.. وليس من المبالغة القول ان نتاج ميشيل الأدبي لايمكن حصره واختصاره بمقالة معدودة الصفحات ، ولكن روائعه والانعطافات البارزة في كتاباته هي ما يمكن التطرق اليها هنا .

وقد بدا واير ميشيل حياته الأدبية بالنثر ، وكان اول ماكتبه عام ١٨٨٢ عن (مرتفع الصخور) The Hill of Stones واذا تركنا النثر برهة لنتكلم عن شعره ، فانه انتزع من الجمهور اعجاباً لايقل عن اي شاعر متمرس . بالرغم من انتاجه القصصي والروائي الذي غطى على شعره ، فان شعره احتل مركزاً يلي الشعر الممتاز آنذاك . ولولا تشجيع معاصريه من الادباء لما اقدم على نشر اولى قصائده . وكان اول من شجعه الأديب الدكتور (ويندل هولمز) W . Holmes الذي جمع اشعاره منذ عام ١٨٥٦ . وكان قد علق على اول قصيدة اعدها ميشيل للنشر في مجلة (اتلانتيكم) : «انها قصيدة شاعر .. دافئة .. دسمة .. سلسة .. ، وربما حادة في بعض ابياتها ..» .

ومن اهم قصائده «تسبيحة الموت» عام ١٨٨٠ـ Apsalm of Death اما (فرنسيس دريك ـ ماساة البحر) Francis Drake – Tragedy of thesea فتحتوي على مجموعة من اجمل اشعاره الغنائية Lyrics . وفي عام ١٩٠١ صدر له في لندن كتاب (منتخبات من اشعار وايز ميشيل) .. وكانت آخر مجموعة هي (غناء على قبر ليسيا) Ode on a Lycian Tomb وقد استوحاها من وفاة ابنته الوحيدة من زوجته الثانية ، وقد سجلها بدقة ووجدان عميقين . وبذلك اعتبرت من اجمل واروع المرثيات Elegie الأدب الامريكي . وقد صور ميشيل نظرة الأب الى ابنته وهي في الجنة في قصائد اسماها (اللؤلوة) Pearl عام ١٩٠٦ . اما قصيدة (راحة التلول) The Comfort of Hills فتبعتها بثلاث سنوات . وصدرت المجموعة الشعرية الكاملة عام ١٩١٤ .

انتاجه الأدبي :

كتب ميشيل قصصاً للكبار والشباب والأطفال . وكتب روايات تاريخية ونفسية . ومن اولى رواياته (قضية جورج ديدلو) عام ١٨٦٦ م ، ونشرت بتوقيع مستعار في مجلة (اتلانتيك الشهرية) . وكانت مشحونة بالتهم والتهكم بالروحيات ، وفيها نظرات ثاقبة وذكية في علم النفس . ويكون فيها البطل جندياً فقد اطرافه الاربعة بالبتر ، ثم يراها ويتخيلها وقد احتيت ورجعت له مما يجعل من الجندي (جورج ديدلو) شخصية حقيقية . وهي قصة رائعة تصور شعور الجندي عندما يدخل معركة . وبهذه القصة سبق ميشيل اعمال الكاتبة (ستيفن كرين) ـ Stephen Crane بـ ٣٠ سنة . وتنتهي القصة بنهاية مضحكة ... ، ولكنها تؤثر في الناس الى حد ان تنهال الاعانات على المستثفى الذي تصوروا ان (ديدلو) يرقد فيه فعلاً في فيلادلفيا .

وبعد ثلاث روايات Norelletes صدرت في مجلد واحد عام ١٨٨٠ وكانت تدور عن الحياة في فيلاد لفيا في اوائل القرن التاسع عشر ، اصدر روايته المتسلسلة (في زمن الحرب) In War Time عام ١٨٨٥ ، وصور فيها الشخصيات الضعيفة الممثلة بالدكتور (ازرا ويندل) .

كذلك كانت رواية (رولاندبليك) عام ١٨٨٦ المليئة بقصص عن الانحراف والمرض النفسي . وصور فيها المؤلف الجندي الاتحادي الامريكي وبسالته وايمانه عندما كانت امريكا تكافح من اجل بناء كيانها الديمقراطي . والأهم في الرواية تلك الامرأة (اوكتوبيا دارنيا) التي

تستنزف عواطف الآخرين الذين تتحكم فيهم ، فهي الأنثى الشاذة المريضة نفسيا . وقد وضعها ميشيل ببراعة النفساني واسلوب الأديب . وفي رولاند بليك طرق ميشيل ميدانين : الجانب النفساني ، والجانب التاريخي الرومانسي . وعندما قرأها الكاتب (جورج ميردث) G . Mmeredi th قال : «ان فيها من النبل الكثير ، انها تصوير للشدوذ النفسي والمرض ...» .

و (بعيداً في الغابة) Far in the Forest قصة درامية عن اراضي الغابات في بنسلفانيا (عام ١٨٨٩) . وفي (الخصائص) (عام ١٨٩١) خلق ميشيل شكلاً روائياً جديداً وذلك بان تتكون القصة من جملة الاحاديث التي يتداولها اناس حول شخص واحد هو الطبيب (أوين نورث) وهي احاديث تشابه مايدور عادة في مجالس الاماسي كل ليلة احد في دار المؤلف .

اما (عندما تخضر جميع العيدان) (عام ١٨٩٤) فتستند على تجارب المؤلف في صيف كندا . وتدور حول صيد الاسماك وهي قصة غير متماسكة .

وكانت رواية (هيو واين من طائفة المهتزين) H . W . Frec Quaker التي ظهرت عام ١٨٩١ من اعظم رواياته التاريخية عن الثورة . وقد امضى سبع سنوات للاعداد لها ودراستها ، لكنه كتبها في ستة اسابيع . ويقوم البطل الخيالي (واين) بدور حقيقي في جو واقعي مؤثر . وقد توصل ميشيل الى هذه القابلية التصويرية لتضلعه من تاريخ بنسلفانيا ولمعرفته شخصيات حقيقية من امثال واشنطن وهاملتون ورش .

وكان عمله الآخر (مغامرات فرانسوا) عام ١٨٩٩ ، رواية عن الثورة الفرنسية وبطلها «السارق» اللقيط الذي شاءت الطبيعة ان تخلق منه سيداً وقوراً «جنتلمان» وهي رواية جذابة . وكان وصفه لباريس وحياتها الخفيفة المرحة يدل على عمق تفهمه لحياتها ومدى تأثره بواقعية الكاتب (ديفو) Defoe الذي كان يحتفظ بمجموعة كتاباته كاملة .

و (تاريخ حياة دجال) ـ The autobiograpny of a Quack (عام ١٩٠٠) قصة اخرى تبعتها قصة (اصدقاء الدكتور نورث) وتظهر فيها شخصية (سبيل ميوود) كمثال على الشخصية المزدوجة وفيها اول وصف لازدواج الشخصية في الأدب الامريكي .

ولميشيل مجموعة من قصص غير طويلة تدور حول النساء وسلوكهن ، وفيها دراسات علمية وادبية مفيدة ابتدأت من (تاريخ حياة دجال) . فمن ابحاثه العلمية المنشورة في مجلة (تقارير كلية اطباء فيلادلفيا) وصف لحالة امرأة مريضة ذات «شعور مزدوج» . وفي قصة (الظرف) Circnmstance (عام ١٩٠١) وصف لحياة امرأة مغامرة . اما قصة (كونستاس تريسكوت) فهي اكثرهم حبكاً وواقعية ويصف فيها انتقام امرأة من الذين اغتالوا زوجها . ولم

يظهر وصف يضاهي الوصف الذي استخدمه ميشيل لتصوير مشاعر تلك المراة .

وفي (المدينة الحمراء) The Red City اعاد ذكرى مدينة فيلادلفيا والصراع والمؤامرات الدائرة بين الديمقراطيين والاتحاديين ، وتبرز في القصة صور دقيقة ورائعة لشخصيات كثيرة . وهي احسن واوسع مابيع من كتب في تلك الحقبة . وقد جاء فيها وصف للحمى الصفراء التي ظهرت في كوبا عام ١٨٩٣ . ولعل قصتي المدينة الحمراء ومغامرات فرانسوا تبدوان كقصص للاطفال لما فيهما من مغامرات ونبل ومحيط جذاب .

ويصف ميشيل الجنون قصة (جون شيروود ـ السيد الحديدي) . وكانت آخر قصة ظهرت له عام ١٩١٣ هي (نحو الغرب) West Ways وهي من روائعه ايضاً ، وفيها وصف للحرب الأهلية من وجهة نظر جراح .

وعندما سئل عن احسن مؤلفاته اجاب بروح الناقد المتفحص المدرك لانتاجه : «بالطبع ان قصة هيو واين هي على الأكثر حياة دائمة او بالاحرى تحمل طابع خلود العمر ، الا ان فرانسوا هو الكتاب الذي احبه . اما الرواية التي تخلو من اية اخطاء فهي (كونستاس تريسكوت) . ولكننا يمكن ان نضيف على ماذكره المؤلف : المدينة الحمراء ، ورولاند بليك ، ونحو الغرب ، ودكتور نورث .

واير ميشيل في عالم الطب

كان راي والده (الطبيب) ان ميشيل لايصلح للطب ! ونصحه اصدقاؤه من الاطباء المحافظين ان يتخلى عن الأدب لان المرضى ينفرون من «الطبيب ـ الاديب» باعتبار ان الادباء والفنانين غريبو الاطوار . لكنه اصبح شهيراً في الأدب وعالماً في الطب .

وقد اتيح له كجراح مساعد في الجيش الامريكي الاتحادي ان يدرس جروح وامراض الاعصاب في مستشفى (ثرنولين) في فيلاد لفيا . وقد عمل ميشيل اربعين سنة في مستشفى الامراض العصبية في فيلاد لفيا ، واصبح المستشفى في زمانه مركزاً عالمياً شهيراً لعلاج الأمراض النفسية والعصبية التي كان ميشيل مولعاً بها .

وكان المامه بالعلوم الطبية الاخرى سنداً لابحاثه وكشوفاته ، فقد تمكن من دراسة علم الفسلجة وعلم العقاقير (الاقرباذين) .

ومن ابحاثه الشهيرة عن (سم الافعى ذات الأجراس) وكان هو اول من اشار الى ان سم

تلك الافعى مركب من مادتين وليس من مادة واحدة . وكان بحث العلامة الشهيرة (هـ . نوجوشي) عن هذا السم مستنداً بالاصل الى آراء ميشيل .

وبالاشتراك مع جراحين آخرين نشر بحثين آخرين هما :

آ ـ الجروح النارية ، واصابات الاعصاب ، عام ١٨٦٤ .

ب ـ الشلل الانعكاسي .

وقد نال بحثه عن جروح الاعصاب شهرة واهتماماً كبيراً من الأطباء .

ان كثرة انتاجه العلمي ونشاطه لايخضع لتصنيف او تحديد ، فقد كتب بعد الحرب الاهلية عن المواضيع التالية : آ ـ السموم ب ـ اصابات الاعصاب المحيطية ج ـ المورفين وتاثيراته د ـ ومنذ عام ١٨٧٠ حتى عام ١٨٧٨ نشر ٣٤ مقالة طبية علمية تدور حول امراض الاعصاب مثل (اصابات الاعصاب وتاثيرها على حرارة الجسم) و (حرقة نهاية الاصابع) .

دعي هذا بـ (مرض واير ميشيل) لأنه وصفه بدقة واتقـان . والمرض يصيب الجلد والأوعية الدقيقة ويسبب الما شديداً في الاصابع . وهو اول من وصف مرض حرقة الاعصاب (كوزالجيا) Causalgia ، ولم يطرأ تغير جذري على وصف هذا المرض حتى الآن .

هـ ـ وفي عام ١٨٧٤ وصف مرض الرقص العصبي (كوريا) Chorea .

و ـ ودرس فسلجة المخيخ منذ عام ١٨٦٩ .

ز ـ وفي ١٨٧١ صدر كتابه عن (التلف والترميم) ، ونبه فيه الى ظاهرة تكاسل الامريكان ـ اي عدم اهتمامهم بالرياضة مما يؤدي الى اصابتهم في الجهاز العصبي .

ح ـ ومن ابحاثه المهمة ايضاً عن (الدم والشحميات) ١٨٧٧ ، كما اصدر كتاباً عن (امراض الجهاز العصبي بين النساء) عام ١٨٨١ .

ومن آثار ميشيل العلمية دعوته الى علاج بعض الامراض العصبية بالراحة والتدليك والتاهيل الفلسجي والتمارين باليد والتيار الكهربائي Physio and electrotherapy واطلق على هذه الطريقة (علاج واير ميشيل بالراحة ـ Rest Cure) . وترجم كتابه عن الموضوع الى الفرنسية والالمانية والايطالية والروسية .

وكتب عن فسلجة (منعكس الركبة) ، كما صدر له عام ١٨٩٧ كتاب بعنوان (محاضرات سريرية عن الامراض العصبية) حوى ملاحظاته وتجاربه الاصلية غير المطروقة من قبل .

وكتب عن الهستيريا (الرحام) ، والنوراستينيا ـ Neurasathenia ، وعن النوم ، وخلجات الوجه والاطراف .

وبلغ ماكتبه عن امراض الاعصاب ١١٩ مقالة ، وعن العقاقير والسموم والفسلجة ٥٢ مقالة .

ان واير ميشيل سبق زمانه في الطب الاجتماعي والصناعي لانه دعا الى مساعدة العمال الذين يغادرون المستشفى بدون عمل ، لكن اقتراحه الوحيد آنذاك هو تقديم الاعانات الخيرية لهم .

وكان ميشيل يشعر بالاعتزاز والفخر كطبيب اعصاب ومعالج نفساني ، وكان يباهي بذكر امثلة عن قابلياته ومواقفه الشهيرة كطبيب ماهر . والحكاية التالية توضح ذلك : (عندما زار البروفسور شاركو Charcot في باريس ـ وهو استاذ فرويد ـ لم يذكر ميشيل اسمه او يعرفه بشخصه ، بل قدم له نفسه كمريض مصاب بأعراض متعددة تشبه النوراستينيا . وعندما عرف شاركو انه يوشك على الرجوع الى امريكا . نصحه بالذهاب الى الدكتور واير ميشيل الذي يعرف عن هذا المرض اكثر من اي شخص آخر !!) .

والحقيقة انه كان معروفاً في اوربا . وكانت شخصيته وكتاباته وعلمه وجاذبيته تملأ المرضى النفسيين بالثقة والآمل . ان مجموعة كتاباته النفسية (خلال القصص والروايات والمقالات) تدل على انه يعد احسن علماء النفس بعد هنري جيمس) ـ Henry James في تلك الحقبة .

حياته الخاصة :

كان ميشيل كتوماً حتى تجاه نفسه ، وعندما زار ضريح زوجته الاولى كتب في مذكراته : «كان يوماً عجيباً من ايام الخريف الباردة ، وكان يوماً بهيجاً ممزوجاً باصوات الاطفال وانغام الايام الغابرة . لكن لن يجرؤ احد ان يحكي عن الافراح والاتراح ..» . وعندما كان يحيي ذكرى ممات والده قال : « .. لايجرؤ انسان ان يكشف عن كل حياته ، فاعقل الناس اكثرهم صمتاً ..» .

ولاشك ان في ماضيه فضائح قاتمة ، ولكنه لم يكن يرغب في ايلام زوجته . اما مغامراته العاطفية وهو في يفاعة الشباب فلم تكن واضحة او بارزة ، الا ان مذكراته تشير الى كثير من

رموز (م) و (بولي) و (بول) وهي اول او اواخر اسمائهن . ويبدو ان علاقته بساراً بتلوويستر كانت علاقة حب . وقد فاضت رسائلهما المتبادلة بعبارات الحب والوجدان .

وكان جليا ان (واير ميشيل) رجل محبوب ، كما كان ابا مخلصاً . ولم يترك اي انتاج لأبنه الأديب (لالي) دون رسالة حارة من تعليق او تشجيع . وكان يتابع صحة ابنه الآخر الطبيب وزوجته حتى قال يوماً : «لايوجد ابن بار أحسن من ابني لي ..» . كذلك كانت صداقاته مع الآخرين خالصة ونقية ، يساعد الشباب ويعد العون الى من هم دونه . وكان «ارستقراطياً نبيلاً» .

وكانت ندواته ومجالسه الفكرية حافلة مساء كل سبت في داره المرقم ١٥٢٤ ، شارع والنت . وعرفت عنه سرعة البديهة ، وبراءة الترحيب وحلاوة الحديث وادارته . وكان يحب التأمل . وكشف عن خبايا نفسه عندما لاحظ ميله الى الادخار والاكتناز ، وادرك انزعاجه من اشياء تافهة صغيرة ، الا انه لم يسمح لنفسه بان يكون بخيلاً اذ تبرع بالشيء الكثير للمشاريع المفيدة لآفراد عائلته ولشراء الكتب النادرة والانفاق على نادي الصيد اذ كان عضواً في (نادي السالمون) لصيد السمك .

وكان يعجب بالجمال والنساء المليحات . وقد وصف فتيات باريس ، واحب الزهور ، وسجل تاريخ اول زعفران Crocus تفتحت في الربيع في حديقته على الرغم من كونه (بستانياً) فاشلاً ! .

وكان يجرب العقاقير على نفسه ، بل جرب حزام الجبس ـ Plaster Jacket وكيفية تجميد الاعصاب . وبدأ يتعلم ركوب الدراجة الهوائية في السادسة والستين من العمر .

كان ميشيل فضوليا .. احب الحياة وعشقها وخبر الحروب ومآسيها ودافع عن العاجزين والمرضى والعاملين .. ، وظل متعصباً وفخوراً ببلدته فيلادلفيا طيلة حياته ..

فرانك سلوتر

الطبيب الذي يكتب بضعة روايات في آن واحد

فرانك سلوتر Frank G. Slaughter طبيب امريكي معاصر .. كاتب ، وقصاص ، وروائي .. تفرغ للكتابة بعد ان حقق شهرة واسعة ونجاحاً مرموقاً كطبيب جراح ، فلما اتجه للكتابة زادت شهرته .. وبلغت مجموعة اعماله عشرين مجلداً ..

سيرته الذاتية :

والده فلاح ، ولد في واشنطن في ٢٥ شباط ١٩٠٨ وانتقلت اسرته وهو في الخامسة من العمر الى بيت ريفي في (كارولينا الشمالية) . وكان عليه السير ثلاثة اميال للوصول الى مدرسته . ولما كان صغيراً وضعيفاً لم يتحمل قطع المسافة فاضطرت والدته لتدريسه بنفسها حتى دخل المدرسة في التاسعة من عمره .

وفي الثامنة عشرة دخل مدرسة ديوك ، ثم دخل كلية طب جامعة (هوبكنز) الشهيرة وحصل على بكالوريوس الطب والجراحة في الثانية والعشرين .

وفي مستشفى (جفرسون) تقابل مع (جين مندي) وتزوجها عام ١٩٣٣ ، وولد لهما ابنان هما : (فرانك) و (راندولف) .

وخدم في الجيش كطبيب برتبة رائد عندما استدعي للخدمة العسكرية عام ١٩٤٢ ورفع الى رتبة مقدم في عام ١٩٤٤ وعمل في معسكر (كيلمر) في نيوجيرسي) .

اما ولداه فقد تخرجا في جامعة (هارفارد) .

سلوتر الطبيب ـ الجراح

بعد حصوله على الشهادة الاولية في الطب ، تدرب اربع سنوات وتخصص في الجراحة في مستشفى (جفرسون) في مدينة (دونوك) حيث قابل زوجته ...

وفي عام ١٩٣٤ انتقل الى فلوريدا لممارسة الجراحة وعمل في عيادة مشتركة مع زميل آخر .

ثم عمل في مستشفى متنقل على باخرة قرب (لوس انجلس) . وفي عام ١٩٣٨ اصبح زميلاً لكلية الجراحين الامريكية ، ومنح شهادة الاختصاص بالجراحة .

وخدم في الجيش اثناء الحرب العالمية الثانية كما ذكرنا .

وكان جرّاحاً دؤوباً متحمساً محبوباً من قبل مرضاه . وقد كتب في البحوث الطبية وتاريخ الطب والجراحة . ومن مؤلفاته الطبية :

كتاب (الطب المعاصر) و (الماكيار الخالد) عام ١٩٥٠ ، وهي سيرة حياة عـالم طبيب اسمه (سيميل وايس) ، وكتاب (علم الجراحة) عام ١٩٤٦ .

انتاجه الأدبي :

كان سلوتر نهم الاطلاع يلتهم القراءات بأنواعها منذ صغرة مما اهله للكتابة وخاصة الروايات التاريخية التي تتطلب البحث والتدقيق .

وبدأ الكتابق كهواية منذ عام ١٩٣٥ ، وربح ١٢ دولاراً كل اسبوع في بداية حياتـه الأدبية . ولمدة خمس سنوات متتالية كتب حوالي ربع مليون كلمـة في السنة (كمـا يقول في مذكراته) . وقد آمن بان «الكتابة هي احسن مهنة يمكن ان يمتلكها الانسان» . لذلك قـرر التفرغ للكتابة كلياً بعد ان كان يمارسها وهو جراح .

كانت اول رواياته (لا احد يجب ان يموت) وصدرت عـام ١٩٤١ وترجمت الى لغـات اجنبية اخرى .

ثم تلاه كتاب (سبنسر بريد) ثم كتاب (جراح المعركة) عام ١٩٤٢ ، ثم (جراح الطيران) عام ١٩٤٣ ، ثم (لمسة من المجد) عام ١٩٤٥ ، وكتبها جميعاً اثناء الخدمة العسكرية .

وكتب رواية (في حديقة مظلمة) عام ١٩٤٦ طبع منها لحد الآن مليونا نسخة . ثم تبعها بكتب : (الجـزيرة الذهبيـة) عام ١٩٤٧ و (سنجـاري) عام ١٩٤٨ ، و(الخليلة الطاهـرة) عام ١٩٤٩ ، و (القلب العنيد) عام ١٩٥٠ ، و (حصن ايفر كلاوز) عام ١٩٥١ .

وتحول سلوتر الى دراسة عميقة للانجيل والاديان وكتب في ذلك روايات عن القديس لوقا (الطريق الى بيتينا) و (نحو الشرق) عام ١٩٥٢ ويصف فيها الحياة الداخلية بمستشفى في نيويورك ، ورواية (الجليليين ـ ومريم المجدلية) نسبة الى الجليل في الارض المحتلة فلسطين .

والف روايات (العاصفة) عام ١٩٥٣ ، وكتب عن الحرب الاهلية الامريكية مثل (اغنية روث) عام ١٩٥٤ ، و (الشافي) عام ١٩٥٥ ، ثم (الهرب من ناتشير) عام ١٩٥٥ و (المحارب) عـام ١٩٥٦ و (الفجر) عـام ١٩٥٨ و (حيـاة المسيـح) عـام ١٩٥٩ و (الارض والميعـاد) عام ١٩٦٠ .

وكتب في الميلودراما وهي رواية (الوباء) عام ١٩٦١ تحدث فيها عن وباء الطاعون في

نيويورك واستغلال الشيوعيين للحادث . وعاد الى الكتابة الدينية ـ التاريخية في رواية (داود ملكاً وعسكرياً) عام ١٩٦٢ ، و (القديس المحارب) عام ١٩٦٧ وتدور حول القديس بولس . اما في روايته (خطايا هيرود) عام ١٩٦٨ فيستعرض فيها تاريخ الرومـان وبدايـة الكنيسة المسيحية بعد موت السيد المسيح .

ويعمل سلوتر بنشاط فائق وقابلية غريبة ، اذ يكتب ثلاثة كتب احيانا في آن واحد ، مما يحتاج الى التركيز وقابلية الانفصام والتوزيع الفكري الذاتي . وقد كتب بمعدل كتاب لكـل سنة .

وهو في كتابته لايتوقف في نهاية سطر او فقرة بل في وسطها حتى تكمل العقدة أو الدراما بعد التفكير فيها . ويراجع اول مسودة بدقة صـارمة ويقارنها قبـل النشر وبلغ انتاجـه ٢٠ مجلداً ...

وعنده الآن عشرة ناشرين اجانب عدا الناشرين الاميركان لأن معظم رواياته ترجمت الى اللغات الاخرى .

واسلوبه واضح وجذاب مع لمسات نفسية ـ طبية ممزوجة بخيال واسع ، وبذلك ادلى بآراء حديثة والقى اضواء جديدة على قضايا قديمـة كانت متـروكة ومهملة عـلى اوضاعهـا التقليدية السابقة .

نشاطه في الأدب والحياة :

لايزال يتمتع سلوتر بقراءة ما انتجه سابقاً من روايـات وابحاث تـاريخية ، ويقف في الاوساط الأدبية في الولايات المتحدة الامريكية كاحد ابرز الروائيين المشهورين ، وربما لايقف امام شهرته الكاسحة الا الكاتبان (آرسكين كالدويل) و (ايرل ستانلي) .

ويقول ان الكتابة اوصلته الى ملايين الناس في العالم لان انتاجه يصل الاقطار الاخرى وربما باعداد تفوق مايوزع منها في امريكا . ولم يأسف على تركه مهنة الطب والجراحة بعد ممارسة طويلة ، بل ينسى احيانا ان يجيب على مناد في صالة او قاعة : هل من طبيب هنا ؟ . ولكنه لم يتوان عن اسعاف صيادي السمك في البحيرة التي يصطادون فيها ويعيش هو بجوارها صيفاً باخراج بعض الصنارات من اقدامهم .

وهو يتنقل بين بيتين : شتائي في (جاكسونفيل) في فلوريدا وصيفي في فيلا على البحيرة ..

ويكتب مقالات اخرى للراديو والصحف الروائية ، كما يعمل في جمعيات ومنتديات . اما المقالة الدائمية الاسبوعية فيكتبها لمجلة (فلوريدا الاحد) وهي تاريخية المضمون .

ويمـارس الصيد ويهـوى رياضـة الزوارق والتزلج عـلى الماء والرحـلات الكشـافيـة (المخيمات) .

ومما يزعجه او يحرجه مراجعة الناس المعجبين به حاملين معهم مقاطع وفقـرات من رواياته التي يتطرق فيها الى وصف العمليات الجراحية والدماء السائلة ...

ومن انكلترة ..

(*) لودج .. ، ليولين .. ، كولي .. ، كامبيون ..

(*) فوغان .. ، براون .. ، سمث .. ، داروين ..

(*) بيدوز .. ، بريدجز .. ، اوليفر هولمز ..

(*) كيتس .. ، كونان دويل .. ، سومرست موم ..

.. وفي انكلترا التي كانت جزءاً من الحضارة الاوربية واحد ميادين انتعاش وانطلاق الفكر الغربي ، ظهر العديد من الاطباء الادباء وخاصة في عهد الملكة اليزابيث وما بعدها ، نذكر منهم :

الدكتور (توماس لودج) ١٥٥٨ ـ ١٦٢٨ م الذي كانت قصائده الشعرية مصدر الهام للكاتب الكبير (شكسبير) في وضع مسرحيته (كما تشتهيها) .

والدكتور (مارتن ليولين) M . LLewellyn ١٦١٦ ـ ١٦٨٢ ، كان طبيباً للملك تشالرز الثاني ، لكنه نظم الشعر متنكراً وكأنه شاعر مغمور ، ثم مالبث ان اشتهر بمجموعة اشعاره (المعجزات) Mere Miracles التي عرفت كأحسن نتاج شعري في ذلك الحين .

والدكتور (ابراهام كولي) A . Cowley ١٦١٨ ـ ١٦٦٧ حصل على شهادة الطب وهو في التاسعة والثلاثين من العمر ، واصبح في عداد شعراء الانكليز الاوائل .

والدكتور توماس كامبيون T . Campion المتوفي عام ١٦١٩ كان طبيباً بارعاً في مدينة لندن ومن كتاب الاشعار الغنائية .

والدكتور (هنري فوغان) H . Vaughan ١٦٢١ ـ ١٦٩٣ جمع بين الطب والشعر . وكانت قصيدته (الانسحاب) Retreat هي التي اوحت الى الاديب الانكليزي (وورد زورث) ، مترجم رباعيات الخيام ، باصدار كتابه (حول الخلود) . وكان فوغان شاعراً روحياً .

يقول في مطلع احدى قصائده :

رأيت العالم الآخر ، عالم الخلود والمجد ..
عالم الطمأنينة والراحة واليقين
كأنه حلقة هائلة بالضوء الذي
لانهاية له .. ، يسودها هدوء
تام .. ، ويغمرها من كل جنباتها ..

والسير (توماس براون) T . Brown ١٦٥٥ ـ ١٦٨٢ م ، كان طبيب عصره ، واحسن كاتب نثر في الانكليزية آنئذ . وتعتبر كتاباته من التراث الخالد في النثر الانكليزي ، وهي مليئة بافكاره عن الحياة والنفس والفلسفة بأسلوب متماسك ولغة قوية لامجال للتصرف بها . وكان مفخرة زمانه بالعمق والبلاغة التي تصعب على القارىء العادي احياناً . واعتبره النقاد من المعجزات الانشائية الرائعة . اما شعره فكان مرآة لنفسه الجياشة التي تعبر عن مكنونات

النفس الانسانية للمريض . وم مؤلفاته (دستور الطب) وهو دراسة نقدية للعلم والدين وكتب اخرى عن (الوبائيات) و (علبة رماد الموتي) Unburiall الذي كان عملاً ادبياً جذاباً على الرغم من عنوانه الساذج .

والدكتور (اوليفر جولد سمث) ١٧٢٨ ـ ١٧٧٤ م كان شاعراً قديراً ، وكاتباً ظريفاً رقيق الأسلوب . اشتهر بديوانه (القرية المهجورة) التي بزت اشعار تلك الحقبة . وتشكك الاشاعات في كونه حصل على شهادة طب حقيقية .

واشتهر الدكتور (ايرازموس داروين) E . Darwin ١٧٣١ ـ ١٨١٢ م بالشعر اكثر من الطب . وحاول مزج علمه بالشعر ولم يفلح في الطب كثيراً كما لم يصل بشعره الى المستوى المطلوب . ومن كتبه العلمية ماتضمن عرضاً لنظريته في ان النبات يشعر وله ارادة .

والدكتور (لونيل بيدوز) T . L Beddoes ١٨٠٣ ـ ١٨٤٩ ، كان طبيباً وابنا لطبيب . كتب الشعر الدرامي والمسرحيات .

والدكتور (روبرت بريدجز) R . Bridges ١٨٤٤ ـ ١٩٣٠ م ، ترك الطب وعمره ٣٨ سنة ليتفرغ لكتابة المسرحيات والقصائد . كان خريج جامعة اكسفورد . وفي عام ١٩١٣ نال قصب السبق ولقب بشاعر البلاط .

والدكتور (اوليفر هولمز) كان شاعراً مبدعاً ، اما الدكتور (جوزيف كروسن) فهو صاحب مؤلفات قصصية رائعة اهمها (القلعة) التي كشف فيها النقاب عن جشع الطب الراسمالي ولا انسانيته . وقد ترجمت الى العربية .

وفيما يلي سير اطباء انكليز من ذوي الشهرة العالمية الاوسع :

(جون كيتس ١٧٩٥ ـ ١٨٢١ م)

جون كيتس John Keats، من اعاظم شعراء الانكليز . انهى دراسة الطب ثم تحول الى الادب قبل ان يمارس الطبابة . عاش ٢٦ عاماً فقط بعد ان اصيب بالتدرن الرئوي الذي قضى عليه .

ويذكر الناقد روبرت جيتينكز ان (كيتس) اختار الطب بناء على رغبته ، وعمل في عيادة طبيب عام اسمه (توماس هاموند) منذ ان كان عمره خمس عشرة سنة تمهيداً للتدريب على

الطبابة لمدة خمس سنوات . وكانت فترة التدريب من شروط الدراسة في كليات الطب . وقد درس في (مستشفى كايز) الشهير الى يومنا هذا في لندن . وكذلك في مستشفى (سانت توماس) . وقد نفر من الطب بعد اشتغاله في قسم الجراحة كمساعد للجراح (لوكاس الصغير): الملقب (بجزار المستشفى) لشراسته وفظاظته وقسوته في العمليات . وهكذا كره الطالب الرقيق كيتس الطب رغم تماسكه واستمراره على الدراسة ، حتى انه سجل اسمه لدخول امتحان الكليـة الملكية للجراحين FRCS في عام ١٨١٦ .

لكن (كيتس) كان شاعراً بالفطرة ، عشق الشعر وكتب روائع من الشعر الانكليـزي والعالمي . قرض الشعر في كلية الطب ، وفي سن الحادية والعشرين نظم قصيدته المسماة (نظرة اولى الى هومر On First looking into chapmans Homer ، وذهب بها الى الناقد الادبي (لي هنت) L . Hunt الذي اعجب بها ونشرها ، وكان معجباً به بالشاعر (شيللي) باعتبارهما يمثلان مدرسة حديثة في الشعر الانكليزي . وكان نجاح كيتس نقطة تحول في حياته اذ ترك الطبابة تمامـاً وتفرغ للشعر .

ثم ظهرت مجموعته الشعرية عام ١٨١٧ (اشعار لجون كيتس) .

وتظهر نزعة (كيتس) الى الموت في اشعاره .. ولعلها نداء التدرن الذي كان ينخـر في رئتيه . وقد عبر عن رغبته في الفناء . ويقال ان الشاعر العراقي المجدد بدر شاكر السياب قد تأثر باشعار كيتس . يقول (كيتس) معبراً عن رغبته في الموت في عدة قصائد . وهذه ابيات من قصيدته (اغنية الى عندليب) :

« وقد وقعت مرات عديدة في غرام الموت الهيِّن ..

ويا طالما رسمته بنعوت ناعمة ....

ورجوته كيما تخرج الى الهواء انفاسي الهادئة ..

ويبدو لي الآن اكثر من ذي قبل ..

أن من الغنى ان اموت

فانقطع في منتصف الليل بلا عناء ..»

وفي قصيدته المشهورة (جمال بلا رحمة) يصور بصدق نفسيته وهو يموت بالسل وكأنها رغبة (انتحارية) ....

«ترى ما الذي يشفي سقامك ايها الفارس المسلح وحيداً شاحباً

لقد ذوى البردي على ضفاف البحيرة .. ولم تعد الطيور تغرد
ما الذي يشفيك ايها الفارس المسلح الذي برح من الهزال والاسى
لقد امتلأ حجر السنجاب بالغلال .. وانتهى الحصاد ،

الى أن يقول :

«ورأيت شفاههم الجائعة في العلامة تغفر على سعتها بتحذير رهيب
فاستيقظت ووجدتني هنا .. على سطح التل البارد
وهو هوسر مقامي هنا . وحيداً شاحباً هائماً
رغم ان البردي قد ذوى على البحيرة ولم تعد الطيور تغني
وهكذا مات الطبيب (الجراح) الشاعر كيتس في زهرة العمر .

(آرثر كونان دويل)

الطبيب الكحال .. مبتكر شخصية شرلوك هولمز

والروائي الذي طغى اسم بطله على اسمه ..

(.. دويل ، لقد عرفتك لمدة سبع سنين .. وفهمتك جيداً .. وسأقول لك شيئاً ستتذكره طيلة حياتك .. ، وهو انك سوف لاتصبح شيئاً ذا نفع ابدا ....!)

هذا ماخاطب به احد مدرسي آرثر كونان دويل (١٨٥٩ ـ ١٩٣٠) في السنة الاخيرة من دراسته الابتدائية . ولكن (دويل) حقق في حياته اكثر من شيء واصبح من مشاهير العالم . وقد طغى اسم شرلوك هولمز ـ Sherlock Holmes على المؤلف ذاته وطغت شهرة المؤلف بروايات (هولمز) على كل ما امتاز به من انتاج في مختلف ميادين الأدب ، الا ان انتاجه الأدبي الاخير ونشاطه كانا اهم بكثير من روايات شرلوك هولمز .

نشأته :

كان (آرثر كونان دويل) — Arthur Conan Doyle ايرلندي الاصل اسكتلندي الولادة ، انكليزي النشأة . ولد في ادنبره من عائلة فقيرة . وكان والده يعمل صباغاً . وكانت نشأة دويل (اسبرطية).. ، ففي سن السابعة دخل المدرسة وكان يتعارك مع زملائه وخاصة للدفاع عن الضعفاء . ورغم ميله للعراك والرياضة فقد كان له ولع شديد في المطالعة وقرض الشعر . وقد

قرأ ديوان (ماكولي) Macaulay عن (هوراتيوس) الروماني Horatius وحفظه عن ظهر قلب .

وفي سن التاسعة ، التحق بمدرسة (ستوني هيرست) التابعة للجزويت . وبدأ هناك يلتهم كتب الاغريق . وكان نظام المدرسة في تناول الطعام اسبرطياً وعقابهم قاسياً . وتعرض دويل للعقاب كثيراً بسبب تعدد مخالفاته .. ! لكن تحمله للعقاب كان يفوق بقية زملائه ايضاً . ولم يكن ممتازاً في دروسه ، ولكنه اظهر نشاطاً ملحوظاً في ميدان الرياضة وبرز في القاء الشعر والنثر امام شخصيات المدرسة وزوارها . وتولى رئاسة تحرير مجلة المدرسة في السنة الأخيرة . وفي تلك السنة اكتشف شيئاً مهماً كان له الأثر العميق في تحديد حياته الادبية ورسم معالمها الا وهو موضوع التاريخ . وكانت مقالات (ماكولي) في التاريخ قد سحرته بعد ان كان ينفر من كل مايتعلق بالموضوع . وكانت لروايات (سكوت) Scott نفس المكانة والتأثير في شخصيته . وغادر دويل المدرسة وهو في سن السادسة عشرة .. ، وكانت آخر كلمة توديعية تلقاها من احد مدرسيه تلك التي ذكرناها في مستهل الصفحة ـ من انه سوف لن يصبح شخصاً ذا نفع .

ورجع دويل الى ادنبره حيث الفقر والكفاح بانتظاره ..

دويل الطبيب :

كان ابوه لايزال صباغاً محدود الدخل وفير النسل ! .. ، ولولا قرار والدته بان عليه ان يصبح طبيباً لاتجه الى العمل الجسماني .

دخل دويل جامعة ادنبره عام ١٨٦٧ .. ، وكان بين كتبه الطبية الكثيرة القليلة كثير من روايات الاديب الانكليزي (ثاكرى) ، والروائي (ميريدث) و (واشنطون) .. ، بل انه بدا يجمع له مكتبة صغيرة . وتأثر بقصص (ادجار الان بو) وسكوت . وكان يمتاز دوماً بالبساطة وبشدة تأثره بكل ماهو مهم .

وتخرج طبيباً .. ، واستقر في مدينة بورتسموث بانكلترا ، ومارس الطبابة ، واستفاد منها بدخل مناسب . وكان اتجاهه انسانياً ، وسر نجاحه قابليته على الاختلاط بالناس ومسايرتهم وفهم اذواقهم . وفي بورتسموث اشترك في عدة نواد ، واسهم في معظم المناشط الاجتماعية ، والقى المحاضرات السياسية والادبية .

وتزوج من فتاة اسمها (لويز) كان قد تعرف عليها اثناء زيارته ومعالجته لاخيها المريض . ثم سافر الى (فينا) للتخصص بامراض العيون ، ثم استقر في لندن وفتح له عيادة في شارع (هارلي) الشهير بشارع الاطباء ـ Harley street .

بداية الطريق

فيما بين سني ١٨٧٨ و ١٨٨٣ ، كتب دويل غرائب القصص التي لم تنشرها له اغلب الصحف ، ثم بدأ بتأليف الروايات التي اجتذبت القراء ووجدت لها بعض الصدى تدريجياً . وفي خلال ذلك لم ينقطع دويل عن قراءة التاريخ والشعر والنثر . وكان دويل يفكر ويطمح الى ايجاد شخصية روائية تتكرر في سلسلة من القصص والروايات المنفصلة تكون اكثر واعمق وقعاً لدى القراء وذلك اثناء مطالعاته للقصص المتسلسلة في الصحف المحلية آنذاك ...

شخصية لاتنسى

.. وكانت شخصية (شرلوك هولمز) في مخيلته منذ ان كان تلميذاً في كلية الطب حيث التقى هناك باستاذه الدكتور (بيل) . وكان بيل جراحاً امتاز بدقة الملاحظة وسرعة البديهة ونفاذ وتأثير التعابير والحركات . ولم ينس دويل قط حادثة واقعية ـ من بين جملة وقائع اخرى ـ جعلته ينظر بأعجاب عميق الى شخصية استاذه الجراح بيل وتخليدها . ويروي دويل تلك الحادثة كما يلي :

كان مع بقية زملائه تلامذة كلية الطب يستمعون الى الدكتور بيل وهو يفحص المريض تلو الآخر .. ، عندما يدخل المريض الرابع ـ وكان رجلاً كهلاً . وتدور بين المريض والاستاذ المحاورة التالية :

الدكتور بيل ـ حسنا ايها الرجل .. ، يظهر انك خدمت في الجيش ..

المريض ـ .. آه .. ! ، نعم .

ـ .. وفي فرقة جبلية .. ؟

ـ .. آه .. ، نعم . ،

ـ .. وبرتبة ضابط .. ؟

ـ .. آه ... ، نعم ! ..

ـ .. ومن حامية (باربادوس) .. ؟

ـ .. آه !!! ، نعم .

ويلتفت الاستاذ نحو تلاميذه قائلاً : « .. ترون ايها السادة بان الرجل يبدو شخصاً وقوراً لكنه لم يرفع قبعته عن راسه حينما دخل القاعة .. ، وفي الجيش لايرفعون القبعة . ولو كان قد ترك الخدمة العسكرية منذ مدة طويلة لتعلم اصول المدنية . وتبدو عليه مسحة من الاعتزاز والأنفة فهو اذن اسكتلندي ومن منطقة جبلية . اما عن حامية باربادوس فلأنه يشكو من داء الفيل وهو غير موجود في انكلترا بل في الهند الغربية ـ حيث توجد حامية باربادوس ..» .

ظهور شرلوك هولمز

وهكذا ظهر هولمز لأول مرة في سنة ١٨٨٦ في رواية (فضيحة في بوهيميا) . ولم يكتف دويل بالاستعارة من شخصية استاذه الدكتور بيل ، بل انه تأثر بشخصيات حية اخرى واستعان باساليب روائية منوعة مثل شخصية صديقه الدكتور (بلو) Blow والدكتور (كيللي) وبأسلوب فولتير في قصة (زاديج) Zadig ، وبقصص ادجار الان بو . ولقد كان انتاجه وفيراً جداً وسريعاً جداً ـ رواية في كل اسبوع تقريباً .. !

وطارت شهرته وذاع اسم بطله شرلوك هولمز سريعاً جداً .. ، فترك العمل كطبيب وآثر التفرغ للادب فقط .

ان رجل الشاعر وعامل الميناء والمنجم وكل رجل له اطلاع بسيط استطاع ان يدرك من هو شرلوك هولمز ـ ولحد الآن . ويقول احد النقاد ان ٩٠٪ من الشعب البريطاني وملايين عديدة من الناس في شتى انحاء العالم يعرفون اربعة اسماء خالدة في تاريخ الادب العالمي يرمز كل واحد منها الى فكرة ومفهوم دائم ، هي : (روميو) .. ويمثل الحب ، و (شيلوك) .. ويرمز الى الجشع ، و (روبنسون كروزو) .. ويرمز الى المغامرة ، و (شرلوك هولمز) .. ويرمز الى الروح الرياضية .

ولقد تغلغلت شخصية هولمز في الفكر العالمي الى درجة جعلت الكثيرين منهم يعتقدون بانه شخصية حية !! ، اما الذين يمرون في شارع (بيكر) Baker Street في وسط لندن ـ حيث مسكن

هولمز في رواياته ـ فانهم يدققـون النظر ويتلفتـون يمنة ويسـرة ليتأكـدوا اين هو مسكنـه بالضبط ! .

موت هولمز وبعثه من جديد

ولما اقتضت احكام الروايات المسلسلة بان يتوفى هولمز في سنة ١٨٩٣ ، انهـالت على الدكتور دويل الرسائل من القراء تلح عليه بالاستمرار في كتـابة روايـات شرلوك هـولمز ! . واضطر بعد الحاح مزعج ان «يحييه» من جديد !! . وكانت المغامـرة الاخيرة هي الستـين بتسلسها وصدرت عام ١٩٢٧ بعنوان ـ Shoscombe Old Place . ان روايات شرلوك هولمز مع ما امتازت به من رياضة عقلية وحبك واثارة ، كانت تعوزها الدقة العلمية والترابط التاريخي ويستطيع المدقق فيها تشخيص مواقع التنـاقضات والارتبـاكات التي تنـطلي على القـارىء السطحي والسريع .. ، لكنها مع ذلك اصبحت من الروايات العالمية .

دويل .. الآخر ..

لعل روايات هولمز غمـطت حق آرثر كـونان دويـل ومكانتـه في ميادين الأدب والفكـر الاخرى .. ، اذ كانت اوجه نشاطه متعددة : في التاريخ .. والرياضة ... والسياسة .. والدين والروحيات .. والتنويم المغناطيسي وما فوق الطبيعة . وكانت قابليته على الكتابة عظيمة . كان يكتب في الفجر ، وبعد لعبة جولف ، وفي غرفة مزدحمة بالناس ! . وكان محدثاً لبقاً قديراً في شتى مواضيع الساعة : في الدين او الجريمة او الادب او السياسة . وكان يتوق دائماً الى الاسهام في خدمة الغير : «اود ان اشعـر بان لي تـأثيراً عمليـاً في شؤون عصـري ـ مهما ضؤل ...» . وكان في الحقيقة ذا تأثير خطير في شؤون عصره :

في حقل الجريمة والقضاء

كانت كتاباته عن شرلوك هولمز قد جعلته يتتبع القضايا الجنـائية المهمـة . وقد اهتم

بقضيتين شهيرتين حكم فيهما القضاء الانكليزي خطأ على المدمر (أوسكار سليتر) بالسجن المؤبد ، وعلى (ايدالجي) بالسجن لمدة سبع سنوات . وكانت كتابات دويل في الصحف وتحقيقاته الخاصة ذات الاثر الحاسم في استبدال الحكم بالبراءة في كلتا القضيتين ، وبذلك اثبت ذكاءه البوليسي عملياً وليس نظرياً فقط من خلال رواياته ، كذلك اثبت اخلاصه في الدفاع عن حقوق الافراد اضافة الى دفاعه عن حقوق ومبادىء الانسانية عامة .

.. وفي ميدان السياسة

رشح دويل نفسه للنيابة عن اسكتلندة مرتين في سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠٥ ، وفشل في المرتين ، وكان سبب فشله اخلاصه وصراحته وافتقاده «الألاعيب السياسية» . على ان ذلك لم يثنه عن الاستمرار في التأثير والمشاركة في امور عصره بطرق اخرى غير البرلمان . فقد اسس (نادي البندقية) ، ودعا الى فتح ممرات وانفاق تحت القنال الانكليزي (المانش) .. ، ودافع عن حقوق اهالي الكونغو .. ، واسهم لمدة في (جمعية الكونغو) مع (موريل) ، واصدر كتاباً اسمه (جريمة الكونغو) دفع بالحكومة البلجيكية آنذاك الى تحسين معاملتها لسكان الكونغو . وكان يحض على السلاح .. ، وزار جنوب افريقيا اثناء حرب البوير وكتب المقالات العديدة محذراً فيها وقوع الحرب العالمية الاولى . وهو الذي توقع خسارة انكلترا الجسيمة بواسطة اسطول الغواصات الالماني . والف (جمعية المحاربين المتطوعين) ممن تزيد اعمارهم على سن الجندية . وبلغ تعداد اعضاء الجمعية مائتي الف في انحاء القطر .. ، وكانت الجمعية تقوم بعمل اي شيء يطلب منها .

وخلال الحرب الف دويل كتابه الموسوم (معركة الانكليز في فرنسا والفلاندرز) في ستة اجزاء .

.. وفي الاجتماع والرياضة

اصبح دويل رئيساً (لجمعية الكشافة والشباب) وكان رئيساً لاتحاد (اصلاح قانون الطلاق) . وكان مولعاً بركوب الخيل .. ، وقد سقط مرة على رأسه ، ورفسه الحصان على عينه

مرة اخرى فكاد ان يفقد البصر تماماً . وكان لاعباً يحسب له الحساب في الكريكيت والجولف وكرة القدم .. كما كان مبارزاً .

ولما توفيت زوجته الاولى تزوج من اخرى تدعى (جين) .

.. وفي التاريخ والفكر والأدب

كتب دويل في التاريخ ، وكانت كتاباته تمتاز بالدقة والصدق . ومن مؤلفاته التاريخية : (نابليون) و (مدينة بورتسموث) و (الجمعية البيضاء) و (السير نيجيل) . ومن رواياته التاريخية المسلسلة الشهيرة ايضاً (جيرارد) .

وكتب للمسرح ، وحول قسماً من رواياته الى تمثيليات . وكانت آخر مؤلفاته في سنة ١٩٢٩ هي رواية (ماراكو) Maracot Deep وتدور حول حضارة قديمة اكتشفها العالم ماراكو في قاع المحيط الاطلسي .

واهتم دويل بالدين والروحيات .. ، ودرس البوذية والف كتابين احدهما بعنوان (الطفيلي) . وكان اتجاهه الروحي والى مافوق الطبيعة سبباً في اهماله تعاليم الجزويت والمعتقدات الاخرى في ايامه . اراد ان يجد الحقيقة وآمن بالحياة بعد الموت ، وكرس جهوداً مضنية لنشر التعاليم الروحية بعد الحرب العالمية الاولى . وقد حاربه الكاثوليك والبروتستانت والاشتراكيون العلميون والاحرار على السواء ، ففقد كثيراً من شعبيته السابقة منذ اعتناقه هذا المذهب .

صداقاته ورحلاته

لم يكن دويل متصفاً بشذوذ الفنانين المعروفة .. ، لذلك وصفه احدهم بقوله : « .. انك لاتجد شيئاً غريباً او سخيفاً فيه» . وكان لدويل اصدقاء مشاهير كثيرون منهم : (اوسكار وايلد) و (انتوني هوب) مؤلف (اسير جزيرة زندا) و (جيروم جيروم) مؤلف (ثلاثة رجال في قارب) . اما مساجلاته مع (برنارد شو) فسنأتي على ذكرها لوحدها لطرافتها .

وفي سنة ١٩٠٢ منح لقب (سير) ، وفي صباح يوم من نيسان ١٩١٢ تناول طعام الافطار مع رئيس وزراء بريطانيا حينذاك (لويد جورج) . وزار فيينا وباريس ، وسافر الى مصر بصحبة زوجته حيث وجد بعض رواياته مترجمة الى العربية . وفي وادي حلفا نبتت لديه نواة قصة جديدة اسماها (ماساة كوروسكو) . وسافر الى سويسرا حيث كتب عدة روايات وابحاث . ودعي لالقاء محاضرات في امريكا عام ١٨٩٤ .

مع برنارد شو .

في سنة ١٩١٢ غرقت الباخرة العظيمة (تيتانيك) ذات حمولة ٤٦٣٢٨ طن اثر اصطدامها بجبل جليدي عائم ، ولم ينج من ركابها الـ ٢٢٠١ الا ٧١١ فقط ، وبقي عليها الكابتن (سميث) الذي انتحر مع اربعة من ضباطه باطلاق النار على نفسه من الحنق والغم . وكانت المأساة الشغل الشاغل للرأي العام البريطاني والعالمي على السواء .. ، واسهمت الصحافة بالجزء الاكبر من النقد والتعليق ـ من مادح او قادح لموقف الكابتن . وكان السير آرثر كونان دويل مادحاً ومتحمساً ومبجلاً لسلوك الكابتن سميث ، بينما كان برنارد شو متهكماً ناقداً مستهزءاً به . وقد كشفت مساجلات الاثنين عن ملامح وطبيعة الكاتبين الكبيرين ، شو الايرلندي .. البورتستانتي .. المنطقي .. الساخر ، .. ودويل الايرلندي .. الكاثوليكي .. الخيالي .. المندفع الجدي . وكان ملخص راي دويل الكابتن قام بواجبه باخلاص وادى عملاً بطولياً خالداً .. وان شو لم يقدره حق قدره ، بل انه وصف ادعاء شو بالبهتان . اما برنارد شو فقد علق على انتحار الكابتن بانه كذبة خيالية و (بطولة فارغة) لان البطولة الحقة هي في الحذق واليقظة وتجنب الاخطار والكوارث ، وتهكم من كل حركة جرت على ظهر الباخرة الغارقة .

وقد علق احد النقاد عن تلك المساجلة التاريخية بان الشعب البريطاني وان كان مقتنعاً بوجهة نظر برنارد شو المنطقية .. ، ولكنه كان في صف كونان دويل من الناحية الوجدانية .

واخيراً ..

وكانت آخر رحلات دويل الى الاقطار الاسكندنافية .. ، وهنالك انتابته نوبة قلبية تبعتها

عدة اغماءات .. ، فرجع الى انكلترة من اوسلو وهو شبه حطام .

وفي يوم ٧ تموز من سنة ١٩٣٠ زاره احد اصدقائه فخاطبه دويل قائلاً : «انني سعيد ونشوان .. ومستعد للذهاب .. واعرف ان الحب والحياة ابديان ..» .

وكانت زوجته تمسح جبينه براحة يدها ،فالتفت نحوها قائلاً : «جين .. لقد كنت طيبة كريمة معي ..» ، ثم لفظ انفاسه الأخيرة .

(سومرست موم)
الذي نافس همنجواي برحلاته ...

طبيب انكليزي تفرغ للكتابة بعد تخرجه بسنوات .. ، عشق الاسفار .. ونافس (ارنست همنجواي) باسفاره ومغامراته التي كانت من نوع آخر .. ، ولم يترك بلداً في الشرق او الغرب الا وزاره . وكان يختلط باهالي المنطقة التي يزورها ويدرسها بدقائقها : من عادات وتقاليد وحديث وطعام ..

سيرته الشخصية :

ولد عام ١٨٧٤ في باريس . تيتم عن والده في العاشرة من عمره . وتولى تربيته عمه في انكلترا في مدرسة (كنج) من مقاطعة (كنتربري) . وبعد قضائه سنة في (هايد لبرج) في المانيا دخل كلية طب سانت توماس في لندن وتخرج عام ١٨٩٧ م طبيباً عاماً . واتجه الى السفر والمغامرة بعد فترة قصيرة من ممارسته الطب .

فقد رحل الى اسبانيا وايطاليا . وفي الحرب العالمية الاولى عمل في المخابرات الانكليزية . وزار الولايات المتحدة الامريكية والبحار الجنوبية وروسيا . وتنقل كثيراً بعد نهاية الحرب . ثم شيد له فيلا في جنوب فرنسا فوق (كيب فيرا) عام ١٩٢٨ ، واصبحت مقره الدائمي الذي يعود اليه دائماً من رحلاته التي لاتنقطع . وامضى العشرين سنة الاخيرة من عمره في الطواف حول العالم .

روابطه بالطبابة :

بعد تخرجه طبيباً اشتغل في طب الامراض النسائية والتوليد . وقد دون خبرته اثناء ذلك في روايته الاولى (ليزا من لامبث) عام ١٨٩٧ . وكان نجاحها المناسب دافعاً مشجعاً له على ترك الطب وممارسة الكتابة . فقد كان يعاني من اللعثمة في كلامه . وكتب علته على ورقة ووصفها لاستاذه الذي نصحه بان يمارس هوايته ـ وهي الأدب . فكتب الادب لاكثر من ستين عاماً وعاش قرناً من الزمان تقريباً بعد ان كتب عشرات الكتب والمقالات والمحاضرات .

وقد اوصى بمنح جائزة لاي كاتب انكليزي يضع احسن كتاب ولايزيد سنه على ٣٠ عاماً على ان ينفقها في الرحلات والاسفار ويتضح شغفه بالاسفار وتجارب الحياة ـ و «الطبابة» جزء منها ـ في وصيته ايضاً اذ كتب» ان الجائزة خير ضمان يمكن ان تقدم للكاتب الفائز حتى يستطيع ان يضع كتابه الثاني . انني مؤمن بان هذه هي افضل وسيلة لتوسيع مدارك الكاتب الناشيء وتجاربه وخبرته بالحياة ..» .

انتاجه وانشطته :

كانت روايته (ليزا من لامبث) عام ١٨٩٧ م اول رواية ناجحة يكتبها وهو لايزال طبيباً حديث التخرج .

وبعد رحيله الى اسبانيا ثم ايطاليا حاز على نصر مسرحي كبير بعد نجاح اربع تمثيليات عرضت في آن واحد جلبت له الشهرة والضمان المالي .

وفي عام ١٩١٥ ظهرت روايته الشهيرة (الرق البشري) ـ Human bondage وفيها لمحات من حياته وتحكي سيرة طالب طب شاب وكفاحه المؤلم الشاق وتطوره في مراحل النضج . وفي عام ١٩١٩ كانت روايته (القمر والست بنسات) قصة حياة فنان تماثل حياة الفنان المعروف (بول جوجان) . اما الكعك والشراب) ـ Cakes & Ale عام ١٩٣٠ فهي قصة روائي شهير يشابه في سيرته (توماس هاردي) و (هيو والبول) . وفي كتابه (الخلاصة) ـ The Summing up عام ١٩٣٨ يشرح موم فسلفته في الحياة ثم اتبعه بكتاب (ملاحظات كاتب) عام ١٩٤٩

كاضافة على تجاربه السابقة بعد عشر سنوات وفيهـا شرح لحيـاة الالحاد والشـك والخير والشر ...

اما اشهر مؤلفاته التي مثلت على الشاشة وحازت شهرة فائقة فهي روايـة (حد الموسى) ـ The Razors Edge صدرت عام ١٩٤٤ والحرب العالمية الثانية موشكة على الانتهاء . ونجد فيها تجربة فريدة خاضها شاب حائر يبحث عن سر الحياة ومعنى الوجود ـ فلم يجده في مجتمعه الغربي الغارق في الماديات والحسيات فرحل الى الشرق حيث مكث في الهند (كما مكث الطبيب موم ردحا من الزمن وزارها عدة مرات) .. واطلع هناك على فلسفة الشرق وصفاتها وصوفيتها وأساليب التركيز الذهني ـ كما في اليوجا ـ وحصل على ضالته وسعادته الروحية .

اما قصصه ومسرحياته القصيرة فقد امتازت بالاثارة والايجاز والعقد البارعة باسلوب (جي دي موبا سان) اضافة الى لونها الكوميدي والاجتماعي . وقد صدرت مجموعات قصصه بثلاثة مجلدات كاملة عام ١٩٥١ . وما يمكن ان يقال عنها بصورة عامة انها عكست ازمة وصراع الانسان الاوربي في عالم الغربة . ومن مسرحياته المعروفة (الدائرة) و (الخطاب) .

وقد صدرت له كتب نقدية وفكرية مثل (مقدمة في الأدب الانكليزي والامريكي الحديث) ، كما صدر له كتاب (وجهة نظر كاتب) ـ The Wri ter's Point of View وفيـه آراء فـي الأدب والحيـاة

افكاره ...

وعبر سومرست موم عن آرائه مباشرة في قصصه وكتبه . وفي أسلوبه سخرية ونقـد للطبيعة البشرية وتشكيك بقدرات الانسان . وكـان يميل الى الافكـار الالحاديـة ويقول عن نفسه : «لم أحاول قط في حياتي ان أحيد عن طريقي . فانا اشعر بالسعادة كلما ألفت قصة . ومع تواضعنا نحن الروائيين فلا نخلو من الزهد والغرور لأننا نطالب بين حين وآخر الا يكون علمنا مجرد تسلية ومتعة بل التصدي لموضوعات الحيوية ومشاكل المجتمع والاقتصاد والحالة الدولية وان تكون مصدر توعية وتثقيف للآخرين باعتبارنـا ذوي حكمة وثقـافة وبمسـتوى المسؤولية .. الخ .. ، اما رايي الشخصي فان من المهانة للقصة ان تخضع لهذه الضوابـط وليس للناس ان ينهلوا المعرفة دون جهد في قراءة الرواية .. لان سبيل الحصول على المعرفة طريق شاق وليس عن طريق الرواية فقط . واني لا نادي ان على الروائي الاكتفاء بان يكون قصصياً فقط ولا يحاول ان يكون نبياً او واعظاً او سياسياً أو زعيماً فكرياً أو مذهبياً ... ومن

الضرر التخصص في موضوع بذاته بل عليه الالمام بقليل من اشياء كثيرة .

وفي كتابه (وجهة نظر كاتب) : «انا اعتقد شخصياً ان الكاتب الذي يحاول ان يبني قصته على اساس من الحوادث الجارية والمعنية بالذات يفقدها قيمتها اذا ما انفضت تلك الحوادث وذهبت جدتها . وقد اهداني الكاتب الكبير هـ . ج . ويلز مجموعة كتبه ، وكنا نجلس معاً ذات يوم وإذا به يمر باصبعه على بعض مجلداته وهو يقول: «انت تعرف ان بعضها قد قضي عليه بالموت فهي تتناول مواضيع ذات اهتمام محلي ولايقرأها احد الآن ..» .

واخيرا .. وهو يودع الحياة .

في عيد ميلاده التسعين اطفأ الشموع وهو يقول : «لقد بدأت اشعر بالوهن ، ويبدو لي ان امراض الشيخوخة بدأت تزحف الى جسمي ..» .. وعندما سئل كيف يكون شعور الانسان عندما يشيخ ، أجاب وهو يشير الى جبل توجبت قمته الثلوج : «ان الحياة اشبه بعملية تسلق جبل شاهق كهذا الذي ترون . والمرء منا قد يصل الى قمة الجليد بعد ان بدأ من السهل وهو بعمر طفل يحبو .. ، فاذا ماوصل الى القمة ونظر وراء الى اسفل تراءى له الوادي ممتلئاً بالخضرة والنضارة والزهور على امتداد البصر ، لكنه لايلبث ان يعود الى حيث وصل فوق القمة الباردة المتجمدة فيشعر بالبرد وقواه تخور ....ولا يلبث ان يسقط ويموت . وانا شخصياً بدأت اشعر بالوهن يدب في اوصالي . لكن هناك كثيرون يرفعون رؤوسهم الى اعلى .. الى مافوق قمتهم ليروا قمماً اخرى اشد نصوعاً وجاذبية فيمضون في طريقهم الى ان يبلغوها ..» . وتوفي عام ١٩٦٥ م .



.. ومن فرنسا

(*) رابيليه .. ، روجيه .. ، سو ..

(*) ليتريه .. ، ليكليرك ..

(*) جورج دوهاميل



وفي فرنسا بلد الحب والجمال والرومانسية والثورات والافكار الجريئة ... ، ظهرت في دنيا الادب والكتابة والتاريخ شخصيات لامعة من الاطباء .. نذكر منهم :

آ ـ فرانسوا رابيليه

الطبيب ، الروائي ، القسيس الساخر .. ولد عام ١٤٨٣ م ، ودخل الكهنوت الفرنسيسكي ثم البنيديكتي ، وأصبح من القسس المستقلين للكنيسة الرومانية الكاثوليكية . لكي يتمكن من السفر والتجوال بحرية . وفي احدى جولاته وصل الى (مونبيلييه) ووجد فيها كلية الطب العريقة ، وكانت سنوات الدراسة آنذاك أقل مما هي عليه الآن ، وهكذا دخل كلية الطب ليتخرج بدرجة بكالوريوس في الطب بعد دراسة حوالي (٦) أسابيع فقط .. ! .

ومارس الكتابة والطب والكهنوتية في مدينة (ليون) ونشر تعاليم ابيوقراط ابو الطب وكتابات جالينوس . ثم اصدر كتابين : الأول ـ Pantagrvel ومضمونه السخرية والجد من المتعة . والثاني . garantua (أو العملاق) .

وامتازت كتاباته بالنقد والسخرية ، وأبرز اهمية الضحك في مشاعر وعواطف الانسان . حتى اشتهر بتلك الكتابات المتميزة التي دعيت باسم كتابة Pantgrevlism ويقول في هذا المنحى : «ان المرح يعبر عن تعاطفنا مع كل امور الناس اضافة الى ادراكنا واحترامنا لكرامته وكبريائه ..» .

وفوق كل ذلك كان (رابيليه) طبيباً ماهراً .

ب ـ وكان (بيتر مارك روجيه) ١٧٧٩ ـ ١٨٦٠ م طبيباً متفرغاً للكتابة واشتهر بها ، ومن اهمها كتابه Thesavrus (ثيسورس) وهي مجموعة نثرية اشبه ماتكون بتعبير (الدر المكنون) او الكنز كما يدلل على ذلك الاصل اليوناني للكلمة .

ج ـ والدكتور يوجين سو

E . Sue (١٨٠٤ ـ ١٨٥٧) كان كاتباً متعمقاً .. وأشتهر بكتابه (سر باريس .. واليهودي التائه) .

د ـ وكان (اميل ليتريه)

١٨٠١ ـ ١٨٨١ طبيباً ناجحاً وفيلسوفاً وكاتباً روائياً . وقد الف قاموساً طبياً معروفاً باسمه .

هـ ـ اما الطبيب (لوسيان ليكليرك)

فله الفضل في نشر الطب العربي في فرنسا ، اذ كتب عن تاريخ الطب العربي عن (ابي اصيبعة) عام ١٨٧٦م ، كما نقل الى الفرنسية (مفردات) ابن البيطار عام ١٨٨٣م .

(جورج دوهاميل)

الذي أعتز بمهنة الطب قبل الأُدب ...

.. في سنة ١٩٥٦ كتب الأديب الفرنسي الشهير (الدكتور) جورج دوهاميل Georges Duhamel ، عضو الاكاديمية الفرنسية .. ، كتب يقول :

«في يوم ما ـ وهو ليس ببعيد ـ عندما اقف عند مدخل الفردوس وعلى عتبة الخلود .. ، فمن المؤكد ان توجه اليّ اسئلة ـ كما هي العادة الجارية في عصرنا الحالي ، عن جواز السفر مثلاً ، واوراقي الشخصية .. ، وشهاداتي .. ، ومن يدري ؟ عن اشياء اخرى . وقد يحاول احد الملائكة الكرام المتزمتين في واجباتهم ان يسالني عن مهنتي ايضاً خلال رحلتي الأرضية . وانني واثق ان اجابتي له ـ بدافع من الوجدان والعرفان بالجميل ـ ساجيبه بانني كنت طبيباً ..» .

سيرته الشخصية :

ولد دوهاميل في باريس في ٢٠ حزيران ١٨٨٤ م . وكان والده طبيباً . حصل على ليسانس في العلوم عام ١٩٠٨ ، وعلى شهادة الطب عام ١٩٠٩ . واحب مهنة الطب ، وهوي العلم والموسيقي . وكانت الطبابة والترحال مصادر غنية لكتابته .

وفي عام ١٩٠٦ التقى بالممثلة (بلانش الباني) وتزوجها عام ١٩٠٩ . واشتغل جراحاً في الحرب العالمية الاولى . وكانت مآسي الحرب وآلام البشر التي شاهدها ولمسها بنفسه قد مست اعماقه وتجاوبت ودارت في أفكاره مما زاده يقيناً وايماناً بعقم العنف وجرائم الحروب . ولم ينقطع عن ممارسة الطب الى سنة ١٩٢٠ عندما قرر التفرغ كلياً للكتابة .

اعماله الأدبية والفكرية ::

انعكست تجاربه في الطب والحياة على انتاجه الفكري . وكانت مآسي الحرب ، وذكرياته

الحزينة خلالها منبعاً لكتابيه الشهيرين (حياة الشهداء) ـ Vie des martyrs عام ١٩٢٧ (والمدنية) Civilisation عام ١٩١٨ .

وقد مجد دوهاميل الحرية الشخصية ودافع عن المثل العليا .. ، وأصبح ذلك شعاره وديدنه حتى آخر يوم من حياته .

وكان دوهاميل ـ قد استهل حياته الأدبية بقرض الشعر ، وكتابة التمثيليات ، والنقد الأدبي . وتميز آنذاك بقابلية فذة على الكتابة في شتى المواضيع . وهو اول من اثار اهتمام النقاد باعمال (بول كلوديل) . وكان ادراكه للطفرات السريعة التي تطفرها مدنية القرن العشرين ، والزحف المريع للمادة والالة .. سبباً في توجسه وتحفزه للدفاع بصلابة عن تلك القيم التقليدية التي اصبحت عزيزة لديه منذ شبابه .

وقد عبر عن اساه العميق لما عانته البشرية وما ستعانيه من جراء الشرور والتفسخ الخلقي .وقد ترجم كتابه (حياة الشهداء) الى الانكليزية عام ١٩١٧ كما تبعه كتاب (المدنية) لما تضمناه من أفكار غنية عن ازمة الحضارة هذه . وكان لايفتأ يصرح عن عطفه واسفه على البشرية التي ستواجه سوء الحظ والنكسات لامحالة مما يوضح فقدانه الثقة بالتقدم الالي والتقني للعصر الحالي وعلى تشاؤمه من مستقبل البشرية . وقد طفحت كتاباته بتلك المعاني والاراء نذكر منها :

(جنون العالم Possession due monde عام ١٩١٩) و (رحلة الى موسكو) عام ١٩٢٧ ، و (صور من المستقبل) ـ Scenes De La Vie Future عام ١٩٣٠ . ويصف في هذا الكتاب انطباعاته عن الولايات المتحدة الامريكية .

ومن كتبه الاخرى (دفاع عن الأدب) عام ١٩٣٧ ، و (الحضارة الفرنسية) عام ١٩٤٤ ، (معضلات الساعة) عام ١٩٥٧ . كذلك كتب عن ذكرياته في الحرب العالمية الثانية ، وقصصاً عن الاطفال وللاطفال .

وكانت شهرته في التأليف الروائي مستمدة من مسلسلتين روائيتين تتضمن كلتاهما تجاربه وانطباعاته : وتتألف ، المسلسلة الاولى من خمسة اجزاء نشرت تباعاً في السنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٣٢ ... وأطلق عليها عنوان (حياة ومغامرات سالافان) اما الرواية المسلسلة الثانية فتتألف من عشرة أجزاء نشرت تباعاً خلال السنوات ١٩٣٣ ـ ١٩٤٤ بعنوان (تاريخ عائلة باسكي) وفيها يقص دوهاميل تاريخ اسرة فرنسية من الطبقة الوسطى منذ عام ١٨٨٠

ولغاية ١٩٢٠ ، وقد تجلت فيها موهبته الفكاهية والعطف ودقة الملاحظة

ومن رواياته الاخرى (صخرة حوريب) ـ Le Pierred . Horeb سنة ١٩٢٦ و (رحلة باتريس بيريو) و (عقدة تيوبيل) . وفي سنة ١٩٣٧ ولغاية عام ١٩٤٩ اصبح دوهاميل رئيساً للاتحاد الفرنسي .

ويعتبر دوهاميل من الكتاب التقليديين المحافظين .

ومنذ ان تفرغ للكتابة عام ١٩٢٠ دمج المقالات المتعددة الالوان والاذواق والمواضيع ومارس الكتابة النقدية التي تتناول المناهج والمذاهب الاخلاقية والاجتماعية . وكان من اتباع (اللاادريين) الذين ارتكزوا في فلسفتهم على القيم الانسانية فحسب وخاصة مبادىء الاعتدال والتحمل والتعاطف . وسعى الى كل مايدعو الى الحفاظ على الجيد والثمين في الحضارة البشرية ، واهمها الحرية الفردية . لذلك كان يتخوف من التقدم الالي الحضاري السريع . كان اخلاقياً حنوناً يدافع بحرارة عن المثاليات الانسانية .

ومن آرائه الطريفة اعتباره صناعة السينما والافلام (قبل ظهور التلفاز) سبباً في نقل الانسان المعاصر من دنيا الحرف والكلمة (أي قراءة الكتب) الى عالم الرؤية والبصر (اي المشاهدة الجاهزة التي لاتتطلب التفكير العميق) ... ، وان هذا الانتقال سيجلب الكساد والاهمال لعالم القراءة والكتابة والفلسفة ويبلد الاحساس والفكر الرصين . ولهذا الراي قيمته ووجاهته المنطقية ، لكن السنين التي مرت والتي نعيشها الآن لم تؤيد وجهة نظر دوهاميل . فالكتابة والقراءة لاتزالان في خير وتقدم مطرد ، كما ان السينما والمسرح ما يزالان يرتكزان على الانتاج الادبي العالمي بالرغم من النكسات والانخفاض في النوعية .. ، كما ان الأدب لايزال يحتفظ بمكانته رغم زحف وطغيان ادب الصحافة والمجلات ، كما ان التفكير الرصين والعمليات العقلية الرصينة والرمزية يمكن ان تدور في افكار مشاهدي السينما والتلفاز مثلما تدور في عقول القراء .

رايه في الطب والأدب :

نال دوهاميل عضوية الاكاديمية الفرنسية عام ١٩٣٥ ... ، واصبح له الباع الطويل في عالم الأدب . لكنه ، وفي عام ١٩٦٧ ، اي بعد أحد عشر عاماً من تصريحه على كيفية دخول عالم الخلود واستجوابات الملائكة ، اسلم دوهاميل روحه . ومن يدري ان كان قد سئل فعلاً عن مهنته في رحلته الدنيوية التي استغرقت ٨٤ سنة .

لكنه كان يقول في عام ١٩٥٦ .. «والحق اقول بانني كرست احسن مافي حياتي لكتابة

ثمانية من الكتب ، لذا فانني اعد من قبل معاصري كاتباً قبل كل شيء . لكني على الطب تدربت في شبابي .. ، وبالطب فتحت عيني على الدنيا .. ، والى الطب مدين بأكبر جزء من معرفتي . وفوق كل هذا ، فقد كان ابي طبيباً واثنان من ابنائي اطباء وثلاثة من ابناء اخواتي اطباء . وابيوقراط استاذي .. ، وسوف استمر على التطلع اليه كأستاذ لي حتى النفس الأخير» .

بهذه الأسطر المختصرة البليغة التعبير افصح الكاتب الفرنسي عن امتنانه لدراسته الطبية . وبتلك الأسطر تكلم عن لسان كل طبيب أديب .



.. ومن المانيا

(*)فريدريك شيللر



(فريدريك شيللر)

من اعاظم الشعراء وكتاب الدراما في الأدب الالماني .. تحدى البغي والقوى الفاشمة في رواياته ..

قال تشيخوف يوماً : «الطبابة هي زوجتي الشرعية .. ، اما الأدب .. فخليلتي !» . غير ان ليس جميع الاطباء ـ الادباء قد جمعوا بين «الاثنين» في حياتهما اذ تفرغوا لواحدة فقط ! . الا ان ذلك التفرغ لم يؤد بهم الى نسيان ثقافاتهم الطبية او التنكر الى علمهم البيولوجي .. ، بل ان امتنانهم للطباعة جاوز حدود الامتنان . وهكذا قال سومرست موم ، الذي درس الطب في اوائل شبابه ، معلقاً على وشائج الطب بالأدب : «ان دراسة الطب هي اميز تهيئة واعداد لحياة الأديب ..» .

وكما فعل (حامل دبلوم الطب) ، الشاعر الانكليزي كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) الذي لم يمارس الطبابة بل قرض الشعر ودبج الشعر الدرامي .. ، فكذلك فعل اديبنا (شيللر) الذي هو كان (حاملاً لدبلوم الطب) ، فان كفاحه الأدبي وروحيته الثائرة لم تكن مستمدة مباشرة من حياته الطبية ، بل من مجتمعه الاوتوقراطي العاتي آنذاك . لكنه طبيب .. ويهم الاطباء ان يكون شيللر احد الاعلام من ادبائهم ، واحد الثوار الروحيين الذين سجلوا ثورتهم في انتاج غزير رائع .

كتب شيللر الى صديقه (ولهلم فون هومبولدت) يوماً : « ..لقد كنا نحن الاثنين مثاليين .. ، ومن العار ان نقول ان الحياة المادية قد كوناها نحن .» وهنا يجسم شيللر كفاح الانسان وخطورة ارادته وعقله في تطوير وتغيير الحياة المادية القاسية من حواليه . وهو يضرب مثالاً على ان المعنوية العالية والتصميم يمكن ان يغلبا الفساد والطغيان ، وان يحررا الانسان من غلاله المادية .

حياته .. وباكورة اعماله ..

ولد (يوهان كريستوف فريدريك شيللر) سنة ١٧٥٩ في (مارباخ) على شاطيء نهر (نيكار) . وكان الابن الثاني للضابط (يوهان كاسبار شيللر وزوجته دورثيا) . وبعد ان اتم دراسته الابتدائية في الثالثة عشرة تلكأ والده في ارساله الى الاكاديمية العسكرية لولا انه اذعن لأمر الدون (كارل يوجين) حاكم ولاية (وورتمبرغ) . وبينما كانت رغبة الوالدين ان يحثا ولدهما على دراسة اللاهوت ، اذ بالدوق يامرهما ان يدرس القانون . وبعد فترة .. ، سمح له الدوق ان يتحول الى دراسة الطب . وقضى شيللر حياة جافة لمدة ثماني سنوات حرم فيها من

رؤية والديه والعالم الخارجي .. الى ان تخرج طبيباً تحت التدريب ، وعين في فرقة عسكرية تعمل في مدينة شتوتجارب . وكان منصبه حقيراً وراتبه ضئيلاً .

باشر بكتابة تمثيلية (دون كارلوس) الاسباني ـ Don Carlos وقد راجع دالبرج نفسه وتراجع ... وعرض على شيللر ان يعينه كاتباً دائمياً لمسرح مانهايم ، تلك الوظيفة التي لم تنقذه من ديونه ومتاعبه ولم تشعره بالامن والطمأنينة . وما ان انتهى من عقد السنة تلك حتى عاود شيللر اشد .. وعاود هو طلب العون من اصدقائه .

على ان اتعابه تشابكت مع حبائل الحب .. وكان حبه الاول لامراة متزوجة هي «شارلوت فون كالب» ، وكانت انثى فاتنة .. متقلبة .. لعوبا . ولاحت بوادر الامل والرفاه النسبي عندما كتب له بعض المعجبين بتمثيلياته وقبولها .. ، وكان احدهم (كريستيان كورنر) الذي اصبح فيما بعد صديقه الحميم الابدي . وقد مد له العون الروحي والمادي .. وحينذاك كان شيللر قد انتهى من روايته (دون كارلس) عام ١٧٨٧ .

شيللر .. وعملاق الأدب غوتيه ..

وفي سنة ١٨٨٧ ، ذهب شيللر الى (فيمار) عاصمة الادب الالماني حينذاك حيث التقى بـ «فيلاند» و «هيردر» الى ان عاد شكسبير المانيا «غوتيه» الى فيمار بعد عام قضاه في ايطاليا . وبدا الترفع والاباء من جانب غوتيه يذوب ويتلاشى .. ، ويحل محله اعجاب وانجذاب نحو شخصية شيللر الشاب . فبعد لقاء عابر سنة ١٧٩٤ .. ، وبعد تبادل الرسائل العديدة والغزيرة التي اصبحت فيما بعد فصلاً حياً من الادب الألماني ... اجتمعت شخصيتان عظيمتان ومتناقضتان بنفس الوقت . وقد غالب (غوتيه) نفوره الاول من شيللر بل محاه من نفسه عندما رشح شيللر لمنصب استاذ التاريخ في جامعة «ييينا» Jena . وكان الترشيح مستنداً على قدرة شيللر وكفاءته في كتابة تاريخ الاراضي المنخفضة (هولندة وبلجيكا) في سنة ١٧٨٨ ، وكذلك «تاريخ حرب الثلاثين سنة» التي اهلته لان يكون احد كتاب التاريخ . وقد استمد نظرته التاريخية وتحليليه للحوادث الجارية مادة دسمة لكتابة درامته العظيمة (فالنشتاين) ـ Wallenstein في سنة ١٨٠٠ ، تلك الدراما التي قدمها مترجمها الانكليزي (كولدرج) بقوله «أنها ، على خلاف روايات شكسبير التاريخية .. ، فريدة في نوعها ...» .

بين الروح والجسد ..

اكسب منصب الاستاذية شيللر ثقة واعتزاز على الرغم من كونه منصباً بدون راتب وفي

تلك الحقبة اقدم على الزواج من (شارلوت لينجفيلد) عام ١٧٩٠ . وكانت شارلوت فتاة مثقفة من عائلة طيبة .. وانجبت له ابنين وبنتين . وقد اثبتت زوجته اخلاصها وتضحيتها له فيما صادفه بعدئذ من ظروف سيئة .

وساءت صحة شيللر بعد سنة من الزواج بسبب العمل والكدح المتواصل . ولم يسترجع تمام صحته قط بالرغم من التحسن المتقطع الذي كان يشعر به . وعرض عليه اميران من الدانمارك هما فردريك كريستيان والكونت شليمان ان يمنحاه راتباً تقاعدياً لمدة ثلاث سنوات . عندئذ قرر شيللر ان يتفرغ لدراسة الفيلسوف (كنط) . وكتب المقالات المتعددة يحلل فيها الجمال والفن والفلسفة .. ونشرها في مجلته التي اصدرها وسماها (النفير) ـ Die Horen . لكنها لم تستمر على الصدور مدة طويلة . وكان شيللر يعتقد ان بالامكان ادخال الشعر في قلوب العامة دون الاسفاف بمعانيه . ودبج الشعر وجعله مستساغاً للعامة بالفعل .

ومع انه بلغ قمته في دراما فالنشتاين الثلاثية ، الا ان صراعه وسباقه مع الزمن قد دفعاه الى انهاء اربع تمثيليات اخرى متتابعة بالاضافة الى اعادته كتابة تمثيليات اخرى لكتاب مشاهير آخرين باسلوبه الخاص . هي رواية (ماكبث) لشكسبير و (توراندو) لكسوزي ، و «فيدر» Phedre لراسين . اما التمثيليات الاربع التي كتبها هو فكانت : (ماريا ستيوارت)[1] عام ١٨٠٠ ، و (عذراء اورليانز) اي جان دارك عام ١٨٠١ و «عروس مسينا» . ـ Die Braut Von Messina عام ١٨٠٣ و (وليم تل) عام ١٨٠٤ .

وفي اثناء كتابته لتمثيلية جديدة على غرار التمثيلية الروسية (ديمتريوس) ... عاجله الموت في فيمار في التاسع من شهر مايس سنة ١٨٠٥ . وقد دلت بقايا مسوداتها على انها يمكن ان تكون اروع ما انتج لو تم لها الكمال .

شيللر في ذمة التاريخ

في الرابعة والثلاثين من عمره .. ، كتب شيللر الى غوتيه يقول : « الآن .. ، وبعد ان شرعت في التعرف على قواي الروحية واستخدامها في محلها ، اذا بالمرض يهاجم قواي الجسمية ، لكني سابذل كل جهدي .. فاذا حم القضاء فسأكون قد انقذت ما أمكن انقاذه ..» .

وقال عنه غوتيه وهو يحدث صديقه (ايكرمان) : «كانت فكرة الحرية عند شيللر قد اتخذت اشكالاً متعددة . ففي شبابه ، كانت الحرية الجسمية هى التي تشغل باله .. ، اما في

(١) (ماريا ستيوارت) ترجمة محمود شوقي ، من مطبوعات «كتابي» .

كهولته واواخر حياته فقد اصبحت الحرية انطلاقاً روحياً ...» .

وكانت تمثيلية شيللر الاولى هجوماً على الكبت السياسي وقسوة المعايير الاجتماعية . اما في تمثيلياته الاخيرة فكان الهجوم منصباً على الحرية الداخلية للروح وصراعها ضد الجسد والقيود المادية . وقد صور شيللر كيف يحتفظ الانسان بوحدته وصلابته وهـو يتعرض الى التمزق بين تلك المتطلبات والدعوات المالية . اما تمثيلية (وليم تل) فانها اصبحت قدوة الروح الوطنية للاطفال والشباب والشيوخ . بـل اصبحت من اشهر تمثيليـاته الشعبيـة : وكثيرا ماتكون شهرة الرواية او الاغنية الشعبية لابسبب قوتها الفنية بل لتجاوبها مع روح الراي العام وفي ذلك الوقت كان الناس قد ضجوا من الظلم والحرمان .

وقد اتهم البعض افكار شيللر بالانهزامية او بالنكوص الى البرج العـاجي ، ووصفه غيرهم بانه دعا الى وجوب خدمة الفن للاخلاق والى الاصلاح الاجتماعي ، وكلا الانطباعين غير عادلين . فهو لم يدع الى الجبن ولم يشجع على الانسحاب على التجارب الحياتية ، بل واجه الحياة بشجاعة وقاوم تحلل الشخصية الانسانية في دنيا الاله وفي خضم اوضاع سياسيـة دكتاتورية . كما انه لم يدع الى التأثير المباشر للفن على الاخلاق الشخصية والامور العامة ، بل اعتبر تأثيره بعيد الآمد متمهلاً معتدلاً . وبالرغم من ان رواياته كتبت في اواخر القرن الثامن عشر فانها تصلح ان تكون مادة حية للقرن العشرين لحداثة مواضيعها وحيويتها .

ولم يسجل شيللر شيئاً يذكر في حياته الطبية .. ، لكنه سجل علاجاً طبياً لازمة اجتماعية هي كيف يمكن الصمود في وجه الطغيان . وهو من الذين حققوا في حياتهم نصر الانسان على الظروف المعاكسة .

.. ومن السويد

(*) اكسل منته



(اكسل منته)

الأديب ... والانساني ،

الفنان ... والعالمي ..

اتفق نقاد وكتاب عصره من امثال (كبيلنج) R . Kipling وبرناردشو ، وبول بورجيه ـ P . Bourget ، والسويدي (رايد بيرج) V . Rydberg على ان (اكسل منتـه) AXEL MUNTHE يمتلك موهبة ادبية هائلة تحتم عليه ان يهجر الطبابة ويتفرغ للكتابة . ومع ذلك ، فان قصة واحدة من بين انتاج ادبي كبير كان لها الفضل الاكبر في ذيوع صيته كأديب متمكن ، هي قصة سان ميشيل Story of San Michele ، ولعل السبب يكمن في ماقـدمته هـذه القصة من دفء وعاطفة وظرافة وفلسفة ممزوجة بسخرية .

وقد انتجت شركة (افلام جلوريا) فلماً ملوناً عن حياة (منته) بعنوان (الطبيب من سان ميشيل) ابرزت فيه دوره الخالد في مكافحة وباء الكوليرا في مدينة نابولي عام ١٨٨٣م .

اما صديقه برناردشو ، فقد دعاه «الفنان .. الانساني .. حامي الطيور» . فمن هـو اكسل منته ؟

حياته الشخصية

ولد اكسـل منته في (أوسكـار شامن) Oskar shamn المـدينة السـويديـة الصغيرة ، عام ١٨٥٧ . وكان والده صيدلانيا . وانتقل الى العاصمة ستكهلم لاكمال دراسته الجامعية في جامعة (اوبسالا) Upsala . واصيب بنزيف رئوي اثناء ذلك كاد ان يودي بحياته . وقطع فيه الاطباء الرجاء ، الا انهم نصحوه بالسفر الى جنوب اوربا لعله يستفيد من دفء المناخ . ورحل بالفعل الى ايطاليا عام ١٨٧٦ . وكانت زيارته للجزيرة الساحرة (كابري) Capri لبضعة ايام ذات تأثير خالد في تحويل مجرى حياته ومصيره ، لانه قرر ان يسكن الجزيرة في المستقبل . ومنذ عام ١٩١٠ قضى معظم حياته هناك بعد ان اشترى له قطعة من الجزيرة كانت فيها خرائب كنيسة سان ميشيل . وقد ساعد الجو الدافىء على استرجاع صحته ، فدرس الطب في فرنسا في جامعة (مونبيلييه) ، وتخرج في كلية طب باريس وكان عمره آنذاك (٢٣) سنة . وفي اثناء ذلك

كانت حالته المالية سيئة للغاية فاضطر الى اعطاء دروس باللغة السويـدية لتحصيـل دراهم عيشه .

وفي عام ١٨٨٠ تزوج من امرأة سويدية هي (اولتيما هورنبرج) حتى عام ١٨٨٨ حيث افترقا . ثم تزوج من امراة انكليزية شابة هي (هيلدا ميلور) انجبت له ولدين . وكانت الأم وولداها يعيشون في لندن الى عام ١٩٦٢ .

ثم ترك جزيرة (كابرى) لاخر مرة عام ١٩٤٣ ليرجع الى السويد ، عندما كانت الحرب العالمية الثانية تدور رحاها في قلب ايطاليا . وفي السويدحل ضيفاً على العائلة المالكة السويدية في قصرها في ستكهلم ، الى ان وافاه الاجل عام ١٩٤٩ .

منته .. الطبيب

كان منته يفخر بدراسته في مونبيلييه ثم باريس حيث يزخر الجو العالمي بفطاحل وعلماء مشاهير مثل (باستور) Pasteur والعالم الفسلجي (براون سيكار) Brown — Sequard وطبيب الامراض العصبية (لاسيج) Lasege . وكانت جامعة باريس في فترة حزن على مـوت جراح الاعصـاب الشهير (بـروكا) Broca . وكـان استاذه في الامـراض العقلية والعصبيـة آنئـذ البروفسور (شاركو) Charcot استاذ (سيجمونـد فرويـد) . وقد اصبـح استاذ الامـراض النسائية البروفسور كورتي M . A . Courtey ذا اثر بالغ في حياة منته ، لانه عندما التقى به كان على وشك الافلاس وبين براثن المرض ، الا ان الحظ حالف الطالب السويدي الأمـير ، فانتبه اليه كورتي وتعهد بان يشرف عليه وعلى اكمال دراسته الطبية ولم يخيب الطالب ظن استاذه فيه ، اذ اصبح طبيباً شهيراً بارعاً .

وكانت رسالة الدكتوراه التي قدمها بنجاح فائق تدور حول موضوع (الوقاية من نزيف بعد الولادة) عام ١٨٨٠ . وقد اهدى رسالته الى البروفسور (ماثيوز دنكـان) رئيس شعبة الامراض النسائية في مستشفى (القديس بارثولوميو) في لندن حيث خدم منته هناك لفترة من الزمن . ومن الطريف ان احد الاطباء الفرنسيين (هنرى نوئيـل) قدم اطروحتـه للدكتوراه عام ١٩٥٠ عن (حياة ورسالة الدكتور اكسل منته في الطب) . وفي الاطروحة تلك اجمال لاعمال منته العلمية ، نذكر منها مثلاً : «بعد نظره في الدعوة الى استعمال نقل الدم في علاج حالات معينة ..» ، وهي فكرة لم تكن مقبولة آنذاك .

وقد كان منته طبيباً وعالماً ، واصبحت استنتا جاته موضع التقدير والعناية . واصبح طبيباً ممارساً ناجحاً ، وطبيباً خاصاً للملكة فكتوريا في السويد منذ عـام ١٩٣١ ، واحتفظ

بالمنصب لحين مماته . وكان يمارس الامراض النسائية والامراض العامة ، الا انه احب وتفرغ تقريباً الى الامراض النفسية . وكان زبائنه يلاحقونه في كل مكان : في باريس وروما والسويد وقرب كابري ونابولي . وكان يعالج الحالات المستعصية او المعقدة فقد اعتاد العلامة (كرافت ـ ايبنج) ـ Kraft — Ebing ان يرسل له مرضاه من النمسا ، واعتاد الطبيب والجراح الامريكي الشهير (واير ميشيل) ان يرسل له اثرياء الامريكيين من فيلاد لفيا .

منته .. الأديب

لم تكن شهرة منته في الكتابة باقل من تفوقه في الطبابة . وقد استهل حياته الادبيـة عام ١٨٨٥ باسم مستعار هو (بوك) Puck . ففي عام ١٨٨٣ اجتاحت الكوليرا منطقة نابولي في ايطاليا ، وكان عدد الضحايا يبلغ المئات في اليوم الواحد . وكان منته وسط المصابين يعالجهم ويخفف عن آلامهم . ولم تغب عن مخيلته المناظر الاليمة لوباء الكوليرا في المدينة البائسة ، ولكي يجمع التبرعات والاعانات بدأ يكتب ويراسل الصحف السويدية ، واصدر كتيباً مخططاً عن (وباء الكوليرا في نابولي) . واتضح له ولغيره ان كتاباته ذات طابع واسلوب ادبي جذاب ، وهكذا ازدهرت حياته الادبية . وقد اعاد تصوير مأساة الكوليرا بدقة في كتاباته الاخرى .

وعندما كان في باريس لاول مرة ، عاش سنوات حافلة ودسمة من الجو الادبي والفني والعلمي في عاصمة الفكر والادب والجمال . وارتشف من كل الينابيع الفكرية . وفي تلك الايام سادت كتابات (فيرلين) Verlaine المحتشمة ذات الحياء والعفة ، بينما آل الادب الطبيعي لاميل زولا ، وجي دي موباسان ، وفلوبير الى الخفوت ، وكذلك ادب اناتول فرانس المعروف بحدته الفلتيرية . وفي الاوبرا ساد انتاج (واجنر) Wagner .

وعندما انضم الى القوات المحاربة الانجليزية في الحرب العالمية الاولى ، دون ذكرياته وتجاربه في كتاب (الصليب الاحمر والصليب الفولاذي ـ بقلم طبيب من فرنسا ، وصدر الكتاب عام ١٩١٦ .

ولما بدا يشكو من عينيه ويخبو نظره رويداً رويداً ، انتهى من رائعته (قصة سان ميشيل) عام ١٩٢٩ ، وأصبحت من اروج الكتب في العالم . فبالا ضافة الى تصويرها الدقيق العامر بالحياة فقد كانت مليئة بالنماذج البشرية الواقعية وجميلة في طراوتها ، وجذابة بأسلوبهـا الاصيل المطعم بالسخرية اللاذعة والوجدان والفلسفة . وقد ترجمت القصة الى اربعين لغة اجنبية ومنها ثماني طبعات (بريل) للعميان .

امـا اعماله الادبيـة الاخرى فهي : (من نـابـولي ..) ـ بـالسـويـديـة From Napoli

عام ١٨٨٥ ، (رسائل من مدينة بائسة) ـ Letters From a Mourning Ci ty عام ١٨٨٧ ، (ذكريات .. وأهواء) ـ Memories & Vagries عام ١٨٩٨ ، و (رسائل .. وخط) ـ بالسويدية ـ Bref Och Skizzer عام ١٩٠٩ .

رجل المجتمع ، والمحسن العالمي

كانت احاديثه وخطاباته تدل على مهارة في اجتذاب انتباه الناس واسر افئدتهم ، اذ كان محدثاً بارعاً ومسلياً . ويفتقده اصدقاؤه والمجتمع الذي يتعرف عليه . الا انه لم يسمح لنفسه ان تكون جلساته الاجتماعية على حساب سعيه العلمي والأدبي .

وكان يندفع بحماس فائق وتضحية مجردة في الازمات العامة والنكبات . فقد سارع الى الاسعاف تلقائياً عندما ثار زلزال في جزيرة (اشيا) قرب نابولي عام ١٨٨١ ، وبادر الى الاسهام في مكافحة وباء (التيفوس) ايضاً في ايطاليا واستحق وسام التقدير من الحكومة الايطالية . ودوره البارز في مكافحة وباء الكوليرا في نابولي بين آلاف المصابين خلده كانسان لايهاب الموت . وقد تجسم دوره في الفلم السينمائي الذي تدور حوادثه في تلك الحقبة .

وكان مواطنا للعالم ، ولم يرتبط بجنسية او عصبية . تنقل بين السويد وايطاليا وفرنسا وانكلتره . احب الناس والطبيعة والطيور والحيوانات ، ودعا الى الرفق بالحيوان ، وجاهد بحماس . وفي عيد ميلاده السابع والسبعين الموافق لعام ١٩٣٤ تكلم صديقه برنارد شو وقال : « ..واذا اتحد العالم لحماية الطيور بفضل منته ـ اشهر من احب الطيور ـ ، فان ذلك يعد خطوة جبارة نحو امل البشرية في حماية الانسان . وانني اتمنى ان يتوج منته حياته بتأسيس جمعية لحماية البشر الذي يتعرض اليوم من كل جانب الى خطط منظمة وحثيثة نحو دماره ...» .

والحق ان منته دافع عن الانسان وضد الدمار والشقاء ، ووقف بجانب الناس المعذبين دائماً وعلى الرغم من انه كان الطبيب الأثير لدى اغنياء الناس وعلى الخصوص ثريات باريس لوسامته ولباقته واجادته عدة لغات اجنبية .. ، لكنه احب الفقراء وعالجهم مجاناً في ابسط احياء روما وباريس . وقد عرف ايضاً كصديق وطبيب الفنانين المعدمين .

منته الفنان

احب الفن وعشق الجمال ، وعندما قرر العيش في كابري اشترى قطعة منها كما سبق ان ذكرنا وهي خرائب كنيسة (سان ميشيل) المهدمة ومن حواليها بساتين الكروم الجميلة . وقد ابتاعها بعد ١٤ عاماً من زيارته الاولى لها وعمره ٢١ سنة .

وقد صمم على اعادة بنائها لتغدو بعدئذ قطعة غنية شهيرة . اما (فيلا سان ميشيل) التي شيدها مسكناً له ، وامامها نصب سان ميشيل الرائع، فقد كانت اعجوبة يؤمها ملايين المواطنين والسياح ليمتعوا اعينهم بالتحف الفنية والتناسق والجمال في اقسامها واجزائها .

وفي عام ١٩٥٩ ، عقد المؤتمر العالمي الثالث لمناقشة تدرن الجهاز البولي في فيلا سان ميشيل بالذات . وقد خلد منته هذه البقعة في تلك الجزيرة في كثير من كتاباته ورسائله الأدبية . وعندما الح عليه مرة سفير السويد في ايطاليا ان يسكن المدينة العريقة (روما) اختار ان يسكن في نفس الدار التي عاش فيها التلميذ ـ الطبيب ، الشاعر الانكليزي (جون كيتس) في عام ١٨٢١ في الشارع المعروف باسم اسبانيا .

نهاية المطاف ..

عندما خيم الظلام على عينيه المريضتين ، انتابه يأس غريب لم يتلاءم مع شجاعته وكفاحه ضد الاوبئة والنكبات . وابى اجراء اية عملية جراحية على عينيه ، الا ان البروفسور فوكت Vogt اقنعه باجرائها في زوريخ ، فاستعاد جزء يسيرا من نظره .

ولما بدأ الظلام مرة اخرى يسدل ستائره على عينيه فتح منته فيلا سان ميشيل للعالم اجمع لتكون ذكرى للطب والأدب والفن والجمال والانسانية . ورجع منته الى السويد عام ١٩٤٣ تاركاً وراءه سان ميشيل وجزيرته الحبيبة ، وليحل ضيفاً على العائلة المالكة السويدية في القصر الملكي في ستكهلم . وهناك ، قضى السنوات الست الاخيرة من حياته .

واذا كان قد بدأ الفصل الأول من قصة سان ميشيل بترانيم الربيع وعواطف الشباب ، فان الخريف الذي يحل كل عام في مقره الاخير يحث الطيور على الرحيل باتجاه الجنوب .. ويثير في منته الحنين والتحرق شوقاً الى الهجرة مع طيوره المحبوبة الى جزيرة كابري ، ولكنه مات عام ١٩٤٩ م .



.. ومن روسيا

(*)انطون تشيخوف



(انطون تشيخوف)

القصاص والمسرحي .. سليل الرقيق ..

في عام ١٩٦٠ ــ اي بعد مرور قرن على ميلاد الكاتب الروسي الشهر تشيخوف ــ قررت هيئة رئاسة مجلس السلم العالمي اقامة احتفالات كبرى احياء لذكرى كل ما وقع في مثل ذلك العام من ذكريات مئوية او خمسينية لعدد من رجالات الفكر والعلم والأدب في العالم ، وكان منهم الكاتب الروسي (الطبيب) انطون تشيخوف الذي احتفل بذكراه يوم ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٠ اتحاد الكتاب السوفييت . واحتفلت جميع مسارح روسيا في هذه الذكرى وجرت زيارة الى مسقط راسه ، كما القيت المحاضرات والدراسات والاجتماعات في النوادي والمدارس والصالات الموسيقية على امتداد القطر . وصدرت طبعتان لاعماله تقع في ٣ اجزاء و ١٢ جزء اضافة الى طبعات لبعض كتبه من قبل دور نشر اخرى .

وفي عام ١٩٧٦ حلا لأحد النقاد الانكليز ، الدكتور (هينكل) ، ان يقدم دراسة جديدة لحياة ونتاج تشيخوف محاولا فيها قلب الانطباع والصورة القديمة التي عرفها عنه عالم الأدب والمسرح ، الا ان الدراسة كما سنذكر بعدئذ ــ ظهرت مبتورة ومتعثرة وغير متينة .

سيرته الشخصية :

ولد (أنطون بافلوفتش تشيخوف) في ١٨٦٠/١/١٧ في مدينة (شاغروغ) في اقصى شمال بحر آزوف) لأب تاجر صغير ووكيل املاك ، وام (أوجيني) من اسرة معروفة تمارس الاعمال التجارية ايضاً .

لكن جده كان من الرقيق . ولما حرر نفسه بعرق جبينه ، أصبح ابنه ايفانوفتش (والد تشيخوف) حراً يعمل في دكان ويمارس التجارة . وكانت عائلة الكاتب فقيرة .

انهى تشيخوف دراسته الابتدائية والثانوية في مسقط راسه . وكان هادىء الطبع ، يميل وجهه الى الشحوب ، منطوي المزاج ، قليل الحديث والاختلاط بالآخرين وينتابه شعور بالضآلة ــ لعله تواضعاً او شعوراً بالنقص . لكنه استعاد ثقته بنفسه وشعوره بالقدرة بعدئذ وبتشجيع من اخيه ميخائيل واصدقائه وزملائه الادباء .

دخل كلية الطب في موسكو عام ١٨٧٩ وتخرج طبيباً عاماً ، لكنه لم يتفرغ للطب الا قليلاً ، واتجه الى كتابة القصة والرواية .

كان يحب النكتة والهزل والسخرية . وامتزج ذلك بجميع انتاجه اذ خدمته النكتة لتصوير وتجسيد آرائه .

وكان متعلقاً روحياً وعلى صلة فكرية وثيقة باخيه ميخائيل الذي تبادل معه الرسائل والمناقشات . وقد تأثر تشيخوف لموته بعدئذ وقطع احدى رحلاته المهمة بسبب ذلك .. وكان له اربعة اخوة واخت واحدة .

احب تشيخوف السفر وآمن ان الرحلات والاختلاط بالناس ورؤية الاماكن هي منبع لاينضب للاديب المرهف الحس الواقعي . واختلط بالاوساط الأدبية ، وتنقل داخل روسيا الشاسعة وخارجها الى آسيا الوسطى وايران . ورأى بعينيه جزيرة (سخالين) الشبيهة بالمستعمرة والتي تضم المنفيين والمبعدين المعذبين .

وسكن قرية (ميليخوفا) قرب موسكو بعد ان ابتاع قطعة ارض فيها ، واقام عليها داراً وحديقة جميلة ومستشفى . وهنالك كتب مسرحية (النورس) .

وقد تعرض الى البرد والمطر عندما هرب من مسرح (بطرسبورغ) بعد فشل الممثلين في تأدية مسرحية (النورس) واصيب بذات الرئة التي تحولت الى التهاب رئوي مزمن لضعف بنيته وانحدار مقاومته الجسمية .

وفي عام ١٨٩٧ تدهورت صحته لاصابته بالتدرن الرئوي فسافر الى (بيارتز) في فرنسا للاستشفاء ثم الى (نيس). وعاد بعد عام الى روسيا وباع املاكه ليسكن في (بالتا) في القرم مع شقيقته ماريا .

تشيخوف .. والطبابة :

اتجه تشيخوف لدراسة الطب بدافع من انسانيته التي ترعرعت معه منذ طفولته. وتصور انه من خلال الطب يمكنه تقديم شيء للناس ، فالتحق عام ١٨٧٩ بكلية طب جامعة موسكو .

ومارس الطب سنوات قليلة . ولعل استياءه او شعوره بالتقصير لفشله في علاجه لبعض المرضى شجعاه على مزاولة الادب والابتعاد عن الطب كمصدر للعيش اوكمهنة مستديمة . فلن يكون طبيباً متفرغاً بهذا المفهوم ، لكنه استمر على مزاولة مهنته بصورة متقطعة كلما اقتضت الحاجة . فكان طبيب قرية (لوباسنا) قرب موسكو . واشترك في مكافحة وباء الكوليرا عام ١٨٩٤ .

ولم يرفض تشيخوف علاج القرويين والاصدقاء ، وبدون مقابل . وعالج صديقه الذائع

الصيت (تولستوي) عام ١٩٠٠ وتمنى له الشفاء لأنه شخصية تهم روسيا والعالم . وشفي تولستوي ، وكان من السائرين في موكب تشييع تشيخوف الى قبره .

وقال تشيخوف يوماً : « الطبابة هي زوجتي الشرعية ، اما الأدب فهو خليلتي ..» .

سيرته الأدبية :

منذ ان كان تشيخوف طالباً (وانتوشا كما لقبه زملاؤه آنذاك) اخذ يصدر مجلة للتلاميذ اسمها(الأرنب) . وكان يدرج فيها نكاته وطرائفه . كما ساهم في انشاء مسرح للمدرسة ويضع له مسرحيات قصيرة من تأليفه ، ويقوم بتمثيل ادوار منها احياناً .

وكان للعلوم الطبية اثرها العميق في شخصيته وكتابته بعدئذ ، فلم يجد تضارباً بين كتاباته وخبرته الطبية ، بل ان اول قصة كتبها في الجامعة كانت بعنوان (رسالة الى جار عالم) ومستوحاة من الجو العلمي ـ الطبي ومليئة بالسخرية والتهكم من ثري جاهل يتحرش بالعلماء محاولاً التشبه بهم . ونشرت القصة في مجلة (الذبابة الفارسية) عام ١٨٨٠ .

وبدأ ينشر ـ وباسماء مستعارة احياناً ـ في مجلات عديدة مثل (موسكو) و (المنبه) و (الشظايا) و (النور والظلام) .. وعمره لم يتجاوز اربعاً وعشرين سنة .

ووضع ثلاث روايات وهو في تلك السن هي : (زهور متأخرة) و (فوز لا لزوم له) و (الجديلة الذهبية) . ولم ينشرها لعدم ارتياحه لها ، لكنه سرعان ماوضع روايات صغيرة هي : (بلا ابوة) و (الرواية الكبيرة) و (ليس عبثاً صيحة الدجاجة) ومسرحية (على الطريق العام) ، ثم نشر مجموعة قصصية في عام ١٨٨٦ بعنوان (قصص براقة) ، وأعقبها في عام ١٨٨٧ بمجموعة أخرى عنوانها (الشفق) فنال بهما شهرة واسعة واستحق جائزة (بوشكين) الأدبية من الأكاديمية الروسية.

كان تشيخوف غزير الانتاج يكتب القصص القصيرة جداً، وانتقل منها الى الروايات والى المسرحيات، حتى قال مرة انه كتب أكثر من ألف قصة.

وفي رسالة الكاتب الروسي المسن (غريغوريفتش) يذكر «... انني أكتب القصص مثل مخبري الصحف عندما يكتبون عن أنباء الحرائق ، وأكتبها في ذهول أو حالة لاشعورية لا أرمي من ورائها ارضاء النفس أو القارىء..».

وكانت سرعته في الكتابة مضرب المثل . كتب مرة مسرحية بناء على طلب عاجل والحاح من مسرح (كيرشي) في بطرسبورغ (لينغراد) فاضطر الى كتابة فصل كل يوم يرسله مع رسول خاص الى ادارة المسرح ليتدرب عليه الممثلون .

وفي عام ١٨٨٧ الف مسرحيتين هزليتين من فصل واحد هما (الدب) و (طلب زواج) نالتا اعجاب الجمهور . لكن مسرحيته الطويلة (ايفانوف) جلبت له النجاح السريع الساحق والمال الوفير . ومن قصصه المؤثرة (المهجع رقم ٦) .

وفي عام ١٨٨٩ وضع روايته الكبيرة (الفقر) ومسرحية هزلية من فصل واحد (مفجوع رغم انفه) ، ثم مسرحية (جني الغابة) ، ثم مسرحية (العم فانيا) ، ثم (روح الغابة) .

وكتب مسرحيته الشهيرة (النورس) ، ثم اعقبها بالعم فاينا آنفة الذكر عام ١٨٩٦ ، و (الاخوات الثلاثة) عام ١٩٠١ و (حديقة الكرز) عام ١٩٠٣ التي مثلت على مسرح موسكو الفني .

اما رسائله الشخصية ـ الادبية فكانت تعد بالمئات . وترجمت معظم قصصه ورواياته الى اللغات العالمية والمحلية وكتب عنها النقاد كثيراً .

ادب تشيخوف في الميزان :

لا جدال في ان ادب تشيخوف اتسم بالواقعية والانسانية . فقد صور الفقر والاضطهاد ودافع عن الاخلاق والتهذيب والعدالة . وقد كان لصيقاً بالشعب ولم يعرف معنى البرج العاجي والرومانسية .

عاصر مكسيم غوركي وتولستوي ، ولكنه لم يصل الى مستوى ادب تولستوي على النطاق العالمي . وكانت الفوارق بين الاثنين كثيرة . ووصفه تولستوي الذي اعجب بفنه وكتاباته بانه (بوشكين روسيا) في النثر .

وامتاز تشيخوف بقابلية فذة في القصة القصيرة وفي الاختصار الدقيق ، كما امتاز بمسرح منفرد بشخصيته ويختلف عما الفه جمهور روسيا في تلك الحقبة من الزمن . وقد اثر فنه القصصي في الادب العالمي والادب العربي الذي ترجم له وقراه في المجلات العربية وعلى الاخص في مجلتي (الرواية) و (الرسالة) المصريتين . ومثلت مسرحيته (النورس) بعنوان (طائر البحر) على مسرح (الطليعة) في القاهرة من اخراج عبد الرحيم الزرقاني .

وتميز ادبه بالبساطة والصراحة والولوج في الموضوع دون مواربة . وقد حظرت الرقابة الروسية طبع مسرحيته (على الطريق العام) لانها تتطرق الى نقد الحجاج والقساوسة ووصف المساكين المسحوقين .

ويبدو انه مر في حياته الادبية بمرحلتين :

الاولى : مرحلة النضج والتطور ، وامتازت بالقصص القصيرة والكتابات السريعة الساخرة التي اوصلته الى الشهرة ..

والثانية : التي ادخلته الى عالم المسرح والرواية الطويلة والى ميادين الادب الروسي والعالمي الكلاسيكي .

وقد وصفه احد النقاد «باللامبدئية» ، لكنه مالبث ان اثبت عكس ماتوقعوه ، فما كتبه عن ساكني منفى (سخالين) يعتبر صرخة ضد الظلم والاستعباد وكبت الحريات . اما في (المهجع رقم ٦) ، فقد وصف تشيخوف البؤس والقذارة والشقاء . وفي التمثيليات ذات الفصل الواحد مثل (الدب) و (مفجوع رغم انفه) فلمس السخرية والواقع الدامغ المرير مع خفة الروح .

وقيل عن مسرحيته (الاخوات الثلاثة) انها دراما حاول فيها اثبات حقائق معينة من جوانب الحياة الانسانية . وقال عنها نقاد آخرون انها قصة محزنة عن تأثير الفساد والانحلال في الشخصية الانسانية وفي العلاقات الاخوية . واعترف تشيخوف انها كانت من اصعب مسرحياته كتابة لصعوبة ما لاقاه من وصف شخصياتها .

اما عن قصصه فوصفها (هينكلي) بالغموض لانها تحير القارىء هل هي محزنة ام مفرحة ام جدية ام ساخرة ؟ لكن نقده وتحليله هذا جاء غامضاً بذاته ومحشوا بالفاظ وكلمات هجينة قليلة الاستعمال مما يعتبر عملاً نقدياً غير موفق في النصف الثاني من سبعينات هذا القرن . وقد اشتهرت مسرحية (العم فانيا) بالفلسفة والميلودراما وحازت اعجاب الجماهير الغفيرة .

ان عبقرية تشيخوف ظهرت في قصصه ومسرحياته اذ ابرزت الواقعية في المسرح علي يده والذي تلاه (ابسون) ومن ثم (بيراند للو) . وعنهم برزت بعدئذ التراجيكوميديا (او الكوميدو تراجيديا) ـ اي المأساة الكوميدية .

ويعبر مسرح تشيخوف عن الاحساس بالحياة بكل مافيها من نقائض ومفارقات . فالحزن قد ينبع من بين الافراح . والضحك قد يؤدي الى البكاء . والكوميديا والنكتة قد تنطق بالمأساة . ان الدراما العصرية بعنصريها التراجيدي والكوميدي ظهرت وثبتت ورسخت على مسرح تشيخوف . وقال تشيخوف عن مسرح موسكو الفني «انه المسرح الذي سيكون اروع فصول الكتاب الذي سيكتب عن مسارح روسيا المعاصرة» .

ومسرحية (طائر النورس) التي فشل الممثلون في ادائها وفهمها اولاً ، عادت الى الذيوع والاعجاب بعد سنوات من تلك التجربة «المريرة» اذ مثلت على مسرح موسكو الفني ، مما يبين اهمية الممثلين في تقمص دور وأفكار المؤلف بدل تقيدهم بقواعد جامدة في الاداء . وفي مسرحية

(بستان الكرز) يشرح تشيخوف نظرته الى الحياة الافضل وانتصار ماتقدمه الانسانية .

ان شخوص مسرحيات تشيخوف بسيطة ليسوا من الابطال المغرورين او العظماء المختالين ، ولامن المثاليين الخياليين ، بل هم نفس الناس الذين يعانون ويفرحون ويشعرون بالحنان والعطف والانانية والشر .

لقد اوجد تشيخوف «ادواراً» جديدة وليس «صيغاً» جديدة للمسرح . ولقد اوجد مئات الادوار التي نعيشها نحن البشر . لقد علق يوماً على سؤال حول (الجريمة والعقاب) لدستويفسكي فأجاب بانها لم تترك اثراً في نفسه .

واجمع النقاد ان تشيخوف ياتي بعد اسم تولستوي مباشرة . وقال يوماً لجماعته «انظروا الى القمر .. ، لم يبق كاتب او شاعر الا تحدث عنه .. ، ومع ذلك فبوسع المرء ان يجد في القمر شيئاً خاصاً به» ويكتب عنه .

حياته الاجتماعية .. وصداقاته :

كان تشيخوف انيساً هادئاً متواضعاً قليل الكلام ، محباً للانصات والتأمل . ولكنه باسفاره ومراسلاته كون له علاقات طيبة ووثيقة مع نخبة من الكتاب والفنانين والعلماء .

كان يراسل ويجتمع ويشارك في الاندية والحلقات الادبية ويستشير زملاءه ومن هم اكبر سنا او قدما في الادب مثل الشيخ غريفوريفتش الذي اعتبره نابغة زمانه .

وكان الكاتب الشعبي العملاق (مكسيم غوركي) صديقاً عزيزاً عليه ، ودافع عنه ايام المحن . وتراس غوركي حملة شعواء ضد الناشر (ماركس) الذي ابتز تشيخوف بعقد غير متكافيء واستغله كثيراً . وكتب الى تشيخوف ينصحه بالشكوى والاعتراض على الناشر : «ابعث بهذا اللص الى الشيطان ! .. وافسخ اتفاقيتك مع ماركس ..» . كما جمع غوركي تواقيع الادباء والفنانين والشعراء والعلماء واتخذوا قراراً بالاحتجاج على العقد الظالم مفتتحاً خطابه بجملة «.. باسمي ، وبالاصالة عن دار المعارف .. نبعث باحتجاجنا على الناشر ماركس .. الخ» . وكان غوركي يصطاف مع تشيخوف في (يالتا) ويقضيان اوقاتاً ممتعة .

ومن اصدقاء تشيخوف المقربين اديب روسيا الشهير تولستوي الذي راسله وجمعهما حب واحترام رغم كونهما على طرفي نقيض في نمط التفكير وسيرة الحياة والاصل ، اذ كان تشيخوف سليل العبودية والرق وتولستوي سليل الثراء والنبل . لكن كلاهما تحررا من تلك القيود . وكان تشيخوف واقعياً وتولستوي صوفيا . وصف تولستوي تشيخوف بانه «لطيف المعشر .. فاتن .. ذو شخصية سامية فذة» .

اما مرض تولستوي قد اخاف تشيخوف لانه احسّ انه بموته سيحدث فراغاً في حياته لانه لايحب احداً اكثر منه . لكن شاءت الاقدار ان يتوفى تشيخوف قبل تولستوي ليمشي الاخير في جنازته !

ومن اصدقائه الآخرين : الممثل المسرحي الروسي (لينسكي) ، والكاتب (ليليشوف) ، والاديب (بونين) والكاتب (كوروليكو) .

اما الدكتور (هينكلي) الذي كتب (تشيخوف الشاب) عام ١٩٥٠ و (سيرة جديدة لتشيخوف) عام ١٩٧٦ فيصفه بانه كان رجلاً كريماً نبيل الشعور هادئاً لطيفاً مما حببه الى القرويين الذين نظروا اليه كقديس . ولكنه يرى ايضاً في حياة تشيخوف الخاصة صورة اخرى من عيوب السلوك وخاصة مع النساء اللائي وقعن في حبه ، مما يدل على المراوغة وعدم الاخلاص .

انسانيته .. ومواقفه :

تتضح الميول والمشاعر الانسانية للكاتب الروسي العظيم في حياته الاعتيادية ومواقفه فيهما . فقد امتزج بالناس العاديين .. وبالشقاء .. وبالسجناء والعمال والمرضى . ولم يكن من السادة ولم يتصرف كارستقراطي أو ثري .

وعندما كان طالباً كتب الى اخيه ميخائيل كيف ان ادارة المدرسة تستلم من كل طالب داخلي مبلغ ٣٥٠ روبل سنوياً ولكنها تقدم لهم غذاء لاتستسيغه الكلاب ! .

وكتب مرة رسالة عن «معلم القرية» المسكين وكفاحه وفضله متمنياً فيها لو شيدت للمعلمين عمارة تتوفر فيها كل وسائل الراحة والترفيه والحدائق (من ذكريات غوركي عن تشيخوف ..) .

وعن الناس المعذبين في معتقل (سخالين) صاحبهم ثلاثة اشهر ودرس احوالهم وكتب مجلداً ضخماً بـ (٤٠٠) صفحة عن آلام المستبعدين . وتحمس في الاشتراك الفعلي لمساعدة الجياع والمرضى اثناء مجاعة روسيا ١٨٩١ ، وكان يجمع لهم الملبس والمأكل .

وكان ينصح احد اصدقائه مشجعاً له على السفر والاحتكاك بالشعوب «لان الاسفار تكشف عن اساليب العيش وتعلم على قضاء الليل في الحانات او الاكواخ والنوم على فراش خشن والتعود على لسع البراغيث !! وهكذا ينتج الكاتب اعمالاً رائعة ..» .

وتورط في عقد مع ناشر الماني ماكر اسمه (ماركس) صاحب مؤسسة (نيفا) للنشر بان

يضع تحت تصرفه كل مؤلفاته السابقة واللاحقة في حياته مقابل ٧٥ الف روبل ولايحق له بنقل او نشر اي شيء منها للآخرين حتى لاعمال خيرية . ولما سمع اصدقاؤه بالعقد وفي مقدمتهم غوركي الحوا عليه في نقض العقد ، لكن طباعه ابت عليه ذلك اذ قال : «لقد وقعت تلك الاتفاقية بملء اختياري : وليس من اللائق التخلي عن الشروط المنصوص عليها ، فاذا بخست قيمتي فانا الملوم على حماقتي ، وليس السيد ماركس ، لكن ساكون حذراً في مرة اخرى ...» .

وعندما انتخب تشيخوف وغوركي وكورليكو اعضاء في الاكاديمية الروسية ، وحرم القيصر (نيقولا الثاني) مكسيم غوركي منها لمواقفه وكتاباته .. ، فما كان من تشيخوف الا انه اعلن رفضه لعضوية الاكاديمية ايضاً احتجاجاً على مبادرة القيصر المهينة .. .

نهاية المطاف :

.. ومن التدرن .. ورحلات الاستشفاء ، وفي عام ١٩٠٢ في شهر آذار تزوج من احدى ممثلات مسرح موسكو الفني (انا كنيجر) ودام زواجه سنتين فقط وكان فاشلاً . وفي عام ١٩٠٤ الح عليه اطباؤه بالسفر الى (بادن) في المانيا للاستشفاء مرة اخرى ، وكان في حالة ذبول وهزال شديدين . وفي جمع من الاصدقاء في تموز ١٩٠٤ شرب كأس شمبانيا قدمه له طبيبه افرغه في جوفه وهو مستلقٍ قائلاً «انني اموت» . ثم التفت مخاطباً جماعته قائلاً : «انني ذاهب لأموت» .. تحياتي الى جميع الاصدقاء والمعارف ...» .

ومات بهدوء ، ودفن قرب موسكو في (دير العذارى) . لكن ، بعد ٢٩ سنة ، وفي عام ١٩٣٣ اخرج نعشه لينقل الى مقبرة جديدة في موسكو اعدها الاتحاد السوفيتي للمشاهير . ودفن في ضريح فخم في موقع (حديقة الكرز) احياء لذكرى آخر تمثيلياته . ولاتزال (فيلا تشيخوف) قائمة بالقرب من يالتا في القرم التي حولت الى متحف لآثار الكاتب وحاجاته كما هي في ايام حياته .

اطباء عرب معاصرون ..

(*) نيقولا فياض .. ابراهيم ناجي .. ، ابو شادي ..

(*) سعيد عبده .. ، عبد السلام العجيلي .. ، مصطفى محمود ..

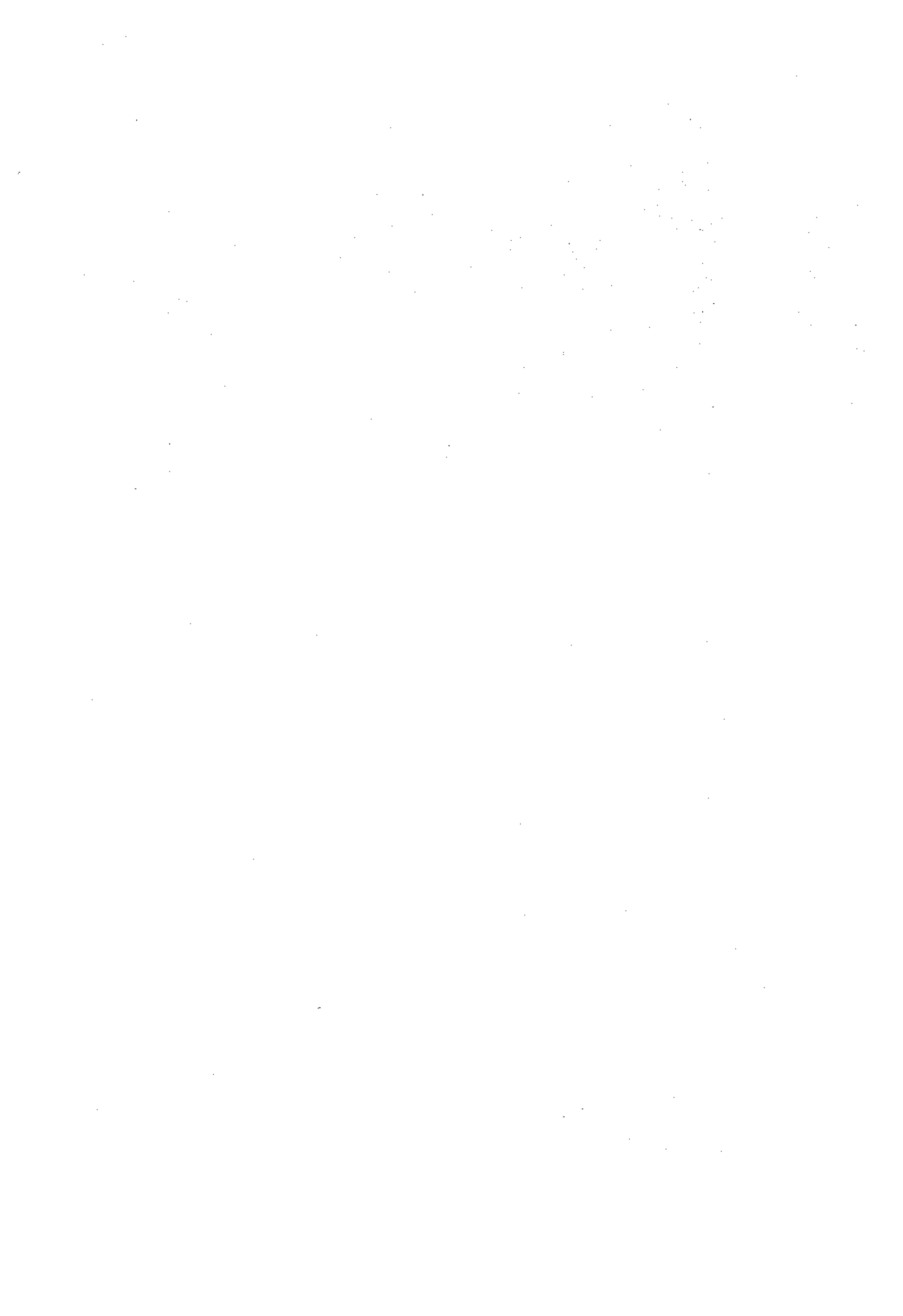
(*) يوسف ادريس .. ، نوال السعداوي .. ، الجلبي ..

(*) الوتري .. ، تجاني الماحي .. ، الشابندر ..

(*) الرخاوي .. ، الطرقجي .. ، البدري ..

(*) داوًد سلمان علي .. ، العاني ..

(*) عمرالنصر .. ، حسن كامل ..



(أطباء ـ ادباء عرب معاصرون)

وفي تاريخ الأدب العربي الحديث ، ادلى الاطباء بدلوهم .. وكانت لهم جولات ومآثر وآثار في النشر والقصة والرواية والمسرح .. وقليلاً من الشعر . وكانت يقظة الامة العربية وعلو شأن القومية العربية ونزوع الانسان العربي نحو اثبات كيانه وكفاحه للتحرر من حكم الاستبداد والاستعمار ثم الصهيونية الخبيثة .. كانت تلك اليقظة قد امتدت الى كل جوانب الحياة العربية وجميع مسالك كيانها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي . فلا غرابة ان نجد الطبابة والاطباء خارج اطار الطب ليشاركوا الجماهير العربية في التعبير عن آلامها وآمالها وفي تجديد الفكر وبعث التراث الاصيل النافع . لذلك نجد الطبيب العربي المعاصر وهو في خضم التيارات الادبية والفلسفية والسياسية والعلمية . ولعله تميز عن جده الطبيب العربي القديم بأنه استطاع ان يقتصر على لون من المعرفة والفن فاصبح اديباً بالمفهوم الحديث .. ، ولعله تخلف عنه بعدم استطاعته ان يكون طبيباً موسوعياً يلم بعديد من صنوف المعرفة . وقد يكون معذوراً ، بل هو معذور فعلاً لان ظروف القرن العشرين وما سبقه لاتماثل ظروف القرون الغابرة . فقد قفز العلم قفزات وامتدت المعرفة الى ابعاد وتشعبات مختلفة ودقيقة .. ، ولم يعد بامكان الانسان المعاصر الا ان يلجأ الى التخصص الدقيق والى الهواية الواحدة او الهوايات القليلة . وهكذا تتحكم طبيعة المرحلة باتجاهات ومجالات الفرد الواحد ..

وسنأتي على ذكر مجموعة من الاطباء العرب المعاصرين وبمعلومات وتفاصيل مختلفة .. ، كما سنذكر اولئك الذين لم يتخصصوا في الأدب بل مارسوا الكتابة الفكرية والتاريخية والعلمية كي لا نغمط الاطباء حقهم ..

(نيقولا فياض ١٨٧٣ ـ ١٩٥٨ م)

طبيب وخطيب .. وشاعر وأديب ..

ولد في لبنان ونشأ في بيروت والتحق بالجامعة الامريكية ، ثم تدرب في مستشفى (سانت

جورج) في لندن واصبح طبيباً ماهراً . سافر الى اوربا .. ثم عاد الى مصر ليستقر فيها . وقد برع بالنثر وبالخطابة الساحرة . وكان اسلوبه سلسا رقيقا واصبح في عداد خطباء البلاد العربية المشهورين . وقرض الشعر . وترأس (نادي القلم) .

كان والد الدكتور فياض شغوفاً بالأدب والادباء ومنهم الشيخ ناصيف اليازجي وابنه ابراهيم اليازجي ، لذلك لانستغرب ان يكون الابن مقتديا بابيه بل اكثر من ذلك اديباً وشاعراً . وقد اطلع من خلال ندوات واجتماعات الادباء على التيارات الادبية والفكرية ثم تابع المساجلات الشيقة التي كانت تدور بين ادباء مصر وسورية والعراق ولبنان . وافادته دراسته في الجامعة الامريكية في الاتصال بالفكر الغربي . وقد انتخب عضو شرف في (نادي التلامذة القدماء) في الاسكندرية . ودرس نهج البلاغة وعالج القصائد الطويلة ، وكان شعر وقوافي ديوان (الشاديات) للخوري من اوائل المؤثرات الشعرية فيه .

حاول قرض الشعر وهو صبي ، ونظم اول قصيدة في مديح استاذ له ، وتلاها بقصيدة رثاء احمد الصلح جد السياسي رياض الصلح . ثم نظم قصائد حماسية كانت سبيله الى امتلاك ناحية الخطابة . وقد اشترك في الكتابة في (الاهرام) ومجلات عربية مختلفة مثل (المقطم) المصرية و (الجمهور) السورية و (مختارات الزهزر) السورية ايضاً . واتسعت شهرته كشاعر في بعد قصيدته التأبينية لخليل سرسق . وامتدح في شعره جبران خليل جبران ووصفه بالرقة والحلاوة وموسيقية التعبير والوجدان الصادق وسلامة الذوق .. وذكر قصيدته الطويلة (الرائية) كمثال على ذلك منها هذه الأبيات :

أهوى البنفسج آية الزهر
في الشكل والتصوير والعطر
واحبه في الأرض مختبئاً
واحبه في بارز الصدر
ولكل عذراء اقدمه
مادام فيه حياؤه العذري

وفي اثناء ذلك النشاط الزاخر في حقل الشعر والنثر لم يهجر الطبابة اذ قال مرة «لم تكن مزاولتي الطب لتعيقني عن الأدب» . ومع ذلك فان شهرته الأدبية طغت على الطبية كما يظهر من

رسائل اخيه الياس الذي كتب له متمنياً عليه ان تكون شهرتــه كطبيب لاتقـل عن شهرتــه كخطيب .. ، وقد مهر في الطب فعلاً .

(ابراهيم ناجي)

الشاعر الخجول ..المتشائم ..

اشتهر عن طريق قصيدته (الاطلال) التي غنتها ام كلثوم ولحنها رياض السنباطي .

شبهه الشاعر احمد عبد المعطي حجازي بـ (طرفة بن العبد) من حيث ان كلا منهما «لايبشر .. ولا يوافق .. ، بل يحتج» ، وكذلك فان الصورة التي يقدمانها عن الحياة هي «الشر والعبث» .

وارتبط اسم ابراهيم ناجي بالمهندس الشاعر علي محمود طه اذ ظهرا سوية ، ونشرا ديوانهما في غضون سنة واحدة ، وكانا شاعرين لامعين .. صديقين .. الى ان تباعدا ..

سيرته الشخصية

ولد في (حي شبـرا) الشعبي بالقـاهرة عـام ١٨٩٨ ، وهناك تلقى تعليمـه الابتدائي والثانوي ، وتوفي عام ١٩٥١ . وكان هزيل البنية ، متوسط الطول في شبابه ، ا صلع في مقدمة الرأس .. ناعس العينين .

وكانت لغته الانكليزية جيدة منذ طفولته ، قرأ قصة (اوليفر تويست) لشارلز ديكنز وهو صغير ، وكان والده قد تلاها عليه وهو في السابعة من عمره .

عرف عنه الطيب ، والبراءة ، وسلامة الطوية وعذوبة الصوت ، ورحابة المحيا . ومن يصاحبه يلمس فيه النبل وشدة الخجل والانكماش ، حتى انه يسير ويكاد يتعثر .. .

اعتاد الجلوس في المقهى ليدخن الغليون . وكان حاضر البديهة ، حيوياً يجيد الفكاهة ويبتكرها ..

شقيقه هو محمد ناجي الكاتب والشاعر ايضاً ..

لم يتدخل في السياسة ولكن صاحب وجالس اصدقاء سياسيين متعددين .. ومن سماحة خلقه انه كان سريع الاختلاط والامتزاج باقرانه من اهـل الأدب والفن .. وكان يســاجلهم

ويبادلهم ابيات الشعر في الندوات والمجالس والطرقات ..

ناجي .. الطبيب :

التحق ابراهيم ناجي بمدرسة الطب بالقاهرة وتخرج فيها عام ١٩٢٢ . وعين في وزارة المواصلات ، والصحة ، والاوقاف . وكانت له عيادة خاصة في شبرا . احتفظ ببساطة مظهره ، ولم يولِ المال والعيادة كثير اهتمام لحسن علاقاته ورقة مشاعره وكثرة معارفه .

كان يعالج الفقراء والاصدقاء مجاناً .

ولما سئل مرة كيف جمع بين الطب والشعر أنشد يقول :

الناس تسال والهواجس جمَّة
طب وشعر كيف يتفقان ؟
الشعر مرحمة النفوس وسره
هبة السماء ومنحة الديان ؟
والطب مرحمة الجسوم ونبعه
من ذلك الفيض العلي الشان
ومن الغمام ومن معين خلفه
يجدان الهاماً ويستقيان

وعمل في المنصورة طبيباً ايضاً عام ١٩٢٩ .

انتاجه وحياته الأدبية :

اشتهر ابراهيم كشاعر اولاً ، ولكنه كتب في النثر ونشر غالبية كتاباته في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) . وترجم من الشعر الاوربي والقصص مقتطفات جميلة نشرها في مجلة (ابولو) مثل (ازهار الشر) لبودلير ، و (الى الريح الغربية) لشيللي ، و(البحيرة) للامارتين ، و (دعاء الراعي) لهايني .... .

ومن كتاباته النثرية المعروفة (رسالة الحياة) الذي تناول دراسات عن الأدب والعلم والمجتمع . اضافة الى مقالات متفرقة في النقد والفلسفة وعلم النفس والاقتصاد . ومن نثرياته المشهورة (ادركني يادكتور) و (مدينة الاحلام) و (في فن القصة) .

وترجم (الجريمة والعقاب) لدوستويفسكي .

وكتب عن (هيجل) و (ستالين) لانه كان من انصار الاشتراكية .

وفي عام ١٩٣٠ نشر اولى قصائده (صخرة الملتقى) في جريدة السياسة الاسبوعية .

وفي عام ١٩٣٤ ظهر ديوانه الاول (وراء الغمام) الذي استقبله كل من طه حسين وعباس العقاد ببرود ، مما فت في عضده واثر فيه بحيث آل على نفسه الا يقول الشعر بعدئذ .

وعندما ظهرت (جماعة ابولو) في مصر كان رئيس تحريرها الشاعر احمد شوقي وامينها احمد زكي ابو شادي ووكيلها ابراهيم ناجي .. وكان من اشهر جماعة ابولو .

اما ديوانه الثاني فظهر بعد سبعة اعوام من الاول وهو (ليالي القاهرة) .

واصدر مجلة طبية اسماها (حكيم البيت) .

وفي عام ١٩٥٧ صدر ديوانه الثالث والاخير (الطائر الجريح) اي بعد مماته ..

وقامت وزارة الثقافة المصرية عام ١٩٦٠ بنشر مجموعاته كاملة بعد ان اضيف اليها ديوان (في معبد الليل) .

شعره و افكاره :

كان ابراهيم ناجي دون شك فناناً اصيلاً .. لكنه لم يكن شاعر جماهير او مرآة احاسيس يقدر ما كان يجوس في عالمه الذاتي الوجداني .

كان يستهلك نفسه .. يفكر بالموت ويخافه .. وتقضّ مضجعه الغربة بالوحدة ولو استطابهما : يقول في قصيدته (الغريب) :

ياقاسي البعد كيف تبتعد
اني غريب الديار منفرد
لو خانني اليوم فيك قلت غدا
واين مني ومن لقاك غد ؟

الى أن يقول ختاماً للقصيدة :

اني غريب ، تعال ياسكني
فليس لي في زحامهم احد ..

وفي قصيدة (شكوى الزمن) يقول متشائماً :

ياويلنا من عمري الباقي
هذا سواد تحت احداقي

ونشرت قصيدته (الغرين) في مجلة الغد الماركسية بمناسبة وفاته .

ان شعره الوجداني صريح دون زركشة وتزويق او مظاهر بطولية . كما تفهم بصدق اتجاه وروحية الشعر الاوربي وكتب عنه وانشغاله بمسألة الموت والحياة والخلود واسرارهم يتكرر في قصائده .

سيان ما اجهل او اعلم
من غامض الليل ولغز النهار
سيستمر المسرح الأعظم
رواية طالت واين الستار

وهكذا نشعر بالعواطف الزاخرة والحزن المجسم الذي يفجر الدموع والذي لايمكن ان يصدر الا عن تجربة حقيقية . فقد تحدث عن الحرب والمرأة والاحلام بالرغم من انه لم يكن محبوب نساء لانه عاشر واقعياً وانتج وجداناً ومشاعر ومديحاً وغزلاً وتعايش مع الدنيا بهذا الاسلوب .

او ليس في ظل حبك موضع
احبو اليه وارتمي مستنصرا

يقول ايضاً :

كل له ليلى ومن لم يلقها
فحياته عبث ومحض هباء
كل له ليلى يرى في حبها
سر الدنى وحقيقة الاشياء

وفي (رسالة محترمة) يقول :

احرقتها ورميت قد
بي في صميم ضرامها

وبكى الرماد الآدمي
على رماد غرامها

وفي (بقايا حلم) :

آه من وجدك بالهاجر آه
تتمنى ان تراه ؟ لن تراه
خدعتنا مقلتاه ، خدعتنا
وجنتاه ، خدعتنا شفتاه

ومن خياله وسرعة تأثره وحساسيته احد الطفولة .. :

وافرحتي بك فرحة الطفل الذي
يلهو ويخلو كل يوم عيداً
وافرحتي بك مزحة الطفل الذي
ملأ الروابي المصغيات نشيداً

ويمتد خياله من الطفولة الى عالم الاموات .. ويتجلى ذلك في كثير من شعره وخاصة قصيدة (الاطلال) :

يافؤادي رحم الله الهوى
كان صرحاً من خيال فهوى
اسقني واشرب على اطلاله
وارو عني طالما الدمع روى

. . . .

هل رأى الحب سكارى قبلنا
كم بنينا من خيال حولنا

وفي ملحمته (الاطلال) نرى اوهام الخيال والطفولة وهي نظرة (النعيم ونلمس خيبته في الحب والالم الذي عاناه ـ وربما طاب له احيانا . لكنه عبر عن كبريائه وعن ادراكه لذلك وثورته :

وارى الطعنة اذ صوبتها
فمشت مجنونة للمقتل
رمت الطفل فادمت قلبه
واصابت كبرياء الرجل

ومن قراءة شعره ندرك مدى تتبعه واطلاعه على المشهورين من فحول الشعر العربي (العباسيين خاصة) والشعراء الرومانسيين في اوربا ...

ان شعره الوجداني واسلوبه البسيط ومفرداته الرقيقة الاعتيادية المتداولة في زمانه وتعدد قوافيه قد اثردون شك في شعراء الجيل الذي تلاه من امثال احمد عبد المعطي حجازي ، وصلاح عبد الصبور ، ومحمد الفيتوري ، وأمل دنقل ...

وكان يرتجل الشعر ، ومن الذين طوروا في أفكار جماعة المجددين (الرومانسيين) الذين أطلقوا على انفسهم جماعة (ابولو) ويميل شعره الى التهويم والتحويم .. ويفتقد تلك الحرارة الكاوية ..

جماعة ابولو :

ولابد هنا ان نتطرق الى «جماعة ابولو» الذي كان ابراهيم ناجي منتمياً اليها ومن ابرزهم .. لنعرف ابراهيم ناجي من خلالها او لماذا ارتبط اسمه بهم ؟

الحقيقة ان «جماعة ابولو» لم تكن مدرسة شعرية او جمعية مذهبية ذات نظام واتجاهات ومبادىء محددة في الشعر والأدب ، بل هي (شلة) من الشعراء والاصدقاء قامت بهيئة جمعية ادبية عام ١٩٣٢ واصدرت مجلة (ابولو) وسط ظروف سياسية واجتماعية مضطربة في تلك المرحلة ومن مؤسسيها الاساسيين الدكتور (الطبيب) احمد زكي ابوشادي الذي كان رئيسها الفعلي وواضع دستورها .

وتميزت الجمعية بطابع التجديد وكانت تعاونية حفظت فردية واستقلالية اعضائها . والتف حولها الكثيرون وكسبت احترام الاخرين وكان رئيسها دكتور .

ومن جماعة ابولو نذكر ايضاً : خليل مطران ، صالح جودت ، محمود حسن اسماعيل ، الهمشري ، جميلة العلايلي ، ابو القاسم الشابي (في تونس) والزمخشري (في الحجاز) .

مكانته بين ادباء عصره :

كتب عن ابراهيم ناجي الكثيرون :

اذ كتب عنه صالح جودت (ناجي ـ حياته وشعـره) ،اصدره المجلس الاعـلى للفنون والآداب .

وكتب عنه احمد عبد المعطي حجازي (ابراهيم ناجي ـ قصائد مختارة) ـ دار الآداب .

وكتب عنه احمد المعتصم بان (ناجي شاعر الوجدان الذاتي) ـ الدار القومية للطباعة .

وكتب عنه محمد ابراهيم الديب اطروحة للحصول على درجـة الدكتوراه من جـامعة القاهرة .

وكتبت عنه دكتورة نعمات احمد فؤاد (ناجي الشاعر) .

وكتب عنه دراسات (مقالات) نقدية كل من محمد مندور ، احمد هيكل ، والشاعر حسن كامل .

أما طه حسين فقد اعتبر علي محمود طه امير شعراء الشبـاب عام ١٩٣٤ ، واعتبـر ابراهيم ناجي نصف شاعر ونصف طبيب ! .

وسخر العقاد من كثرة الشكوى في شعر ابراهيم ناجي .

واخيراً :

توفي في عام ١٩٥٢ ، وكان يتمنى لو غنى له محمد عبد الوهاب أو ام كلثوم مثلما فعل مع علي محمود طه . وبعد موته بأكثر من عشر سنوات غنت ام كلثوم (الاطلال) من تلحين رياض السنباطي .

(أحمد زكي أبو شادي)

ولد عام ١٨٩٢ م في حي عابدين بالقاهرة . وانهى دراستـه الابتدائيـة والثانـوية في القاهرة . ثم دخل مدرسة الطب المصرية ثم ترك الدراسـة لفترة عـلى اثر مـرض منعه من الدراسة . وسافر الى الخارج وسكن عدة سنوات في انكلترة . وهناك اكمل دراسته الطبية في كلية طب (سانت جورج) في لندن عام ١٩٢٢ .

كان والده (محمد ابي شادي) محامياً واديباً في الوقت نفسه . وهو الذي شجع ابنه الطبيب على الكتابة اذ كان يصدر صحيفتي (القاهرة) و (الامام) . وكان منزله منتدى لرواد الفن والادب . واتجه الدكتور احمد زكي الى علم الحشرات الطبية ودفعه هذا التخصص الى

انشاء مزرعة له في مصر بحيث اوسع مجال دراسته الى الحشرات بأنواعها وبيولوجيتها وخاصة تربية النحل . وقد اشتهر بمنحله في مصر مثل اصحاب المزارع والزراعيين . واسس (نادي النحل) بعد ان سكن الاسكندرية . وسافر كثيراً وخاصة في انحاء اوربا .

كتب ابو شادي في الصحف والمجلات الكبيرة مثل المقتطف وابولو والاهرام . وهو احد مؤسسي «جماعة ابولو» التي تطرقنا اليها في حديثنا عن زميله ابراهيم ناجي . شعره وجداني يشيد بالحرية ويفيض بالحنين والغزل .. ، اضافة الى الشعر السياسي ، والخطابة .

ولطالما بنت الشعوب حياتها
بثباتها وهوى الردى بحرابه

ان الزمان حليف كل مجاهد
والصبر قبل السيف من اصحابه

ومن مؤلفاته (قطرة من يراع - في الأدب والاجتماع) وديوان (الشفيق الباكي) وقصة (مها) و (روح الماسونية) و (ذكرى شكسبير) ودواوين شعر اخرى .

وتوفي عام ١٩٥٥ م .

(سعيد عبده ..)

الاستاذ الجامعي .. الكاتب .. الزجال

من الاطباء المتخصصين في الصحة العامة والطب الوقائي ، ومن الذين لم يتركوا مهنة الطب والتدريس في الجامعة واستمروا في الكتابة العلمية والأدبية والشعرية ...

كان يكتب وهو طالب في الكلية .. ويجاهر برأيه ويدخل في معارك نقدية مع كتاب عمالقة مثل (طه حسين) ..

سيرته :

ولد سعيد عبده في مصر عام ١٩٠١ م ، وهو متزوج وله خمسة أطفال . حاز على شهادة الطب الاولية عام ١٩٣٠ من جامعة القاهرة .. ، ثم حصل على دبلوم الصحة العامة وطب المناطق الحارة عام ١٩٣٩ من جامعة القاهرة ايضاً .. ، ثم على الدكتوراه في الصحة العامة

والطب الوقائي عام ١٩٤٠ من جامعة القاهرة ايضاً ..

وتنقل بين مؤسسات وكليات القطر المصري كطبيب ومعيد ومدرس جامعي ورئيس قسم وخبير واستاذ في الهيئة الصحية العالمية للبلاد العربية . ثم عمل في اقطار عربية اخرى كخبير منتدب او استاذ ، ومنها في العراق (كليتي طب الموصل والبصرة) وفي وزارة الصحة الكويتية . واحيل على التقاعد عام ١٩٦٧ لبلوغه السن القانونية .

أصيب بفالج العصب الوجهي واجريت له عملية في لندن وبرىء من المرض الا من آثار قلية تبدو عليه اثناء حماسه في الكلام والخطابة ..

آثاره .. الأدبية :

اظهر سعيد عبده براعة في الادب وهو طالب طب .. ، وكان قلمه سيالاً قوياً .. ، وكانت مجالاته متعـددة : في العلم .. والنقد .. والشعـر .. والزجل .. والسيـاسة .. والقصـة .. والدعاية والسخرية والمغامرات اللغوية .

كتب في جريدة (السياسة) التي يشرف عليها حزب الاحرار الدستوريين وتقف من حزب (الوفد) بقيادة سعد زغلول موقف النقد والمعارضة .

وكان من كتاب (السياسة) آنذاك الدكتور طه حسين واحمد شوقي ومحمد حسنين هيكل وعبد العزيز البشري ومحمود عزمي وتوفيق دياب . واستطاع سعيد عبده ان يجد له مكاناً بينهم بكل كفاءة . ودخل في مساجلات نقدية مع طه حسين الذي كان آنذاك مديراً لجامعة القاهرة . وقد اعجب طه حسين بكتابات سعيد عبده الجريئة ولم يكتم استياءه الشخصي في الحلقات الخاصة من «ذلك الشاب» الذي يواجه استاذ الأدب العربي دون تحفظ . وقد تمنى طه حسين على سعيد عبده لو دخل كلية الآداب بدل الطب لما لمسه فيه من مهارة وحذق وملكة ادبية تبشر بمستقبل زاهر .

وكان سعيد عبده يستنكر ويحارب الاقلام المأجورة بصراحة وقسوة . وقلمه حـاد في النقد .. وأزجاله وكتاباته المختصرة المركزة تدل على حديته في المسائل التي يخوضها . وكان له باب ثابت صغير في (اخبار اليوم) بعنوان «خدعوك فقالوا» يتولى فيها شرح وفضح مقالات علمية طبية تسيطر على عقول العامة والجمهور فكانت بمثابة توعية صحية وثقافة عامة . وكتب في صحف محلية وعربية . ومنها اخبار اليوم والاثنين وروز اليوسف .

وهو قصاص بارع . ومن مجموعاته القصصية (هياكل في الريف) . وكانت مساجلاته مع محمود كامل المحامي القصاص والكاتب المعروف حديث المجالس الادبية وتدور حول قضايا

النقد المسرحي والانتاج الأدبي . وقد عرف سعيد عبده بممارسته النقد المسرحي في مجلة (كشكول) باسلوب لاذع تهكمي . ولذلك بدات مساجلاته مع محمود كامل بعد ان هاجم سعيد عبده (الوحوش) فمزقها تمزيقاً وهي لاتزال تمثل من قبل فرقة (رمسيس) برئاسة يوسف وهبي .

وكان يغيض سعيد عبده في المسرحيات المختلفة (الميلودراما والدراما) عنصر الافتعال وتكرار المآسي والفواجع والحوادث الضخمة .. ، وهكذا اغتاض من مسرحية الوحوش التي نقدها بايجاز مكثف صلب وباسطر قاطعة ساخرة قائلاً : «ابطال الرواية سبعة : يموت احدهم (الهي !) .. ويموت الثاني خنقاً .. والرابع يقضي عليه بالموت في المستشفى .. والخامس يموت انتحاراً .. والسادسة تموت بمرض القلب ، وعشيقها مريض بالزهري . والطبيب المعالج لوجه الشيطان مات خنقاً . والزهرى العسير المعالجة في الطب يساوي الموت ايضاً مع التشويه والآلام ...» .

وسعيد عبده شاعر وزجال بارع .. كان يتنافس مع (بيرم التونسي) احياناً . ومن المفارقات التي يعرفها الادباء والشعراء ماحدث في قطعة الزجل الشهيرة التي لحنها وغناها الموسيقار محمد عبد الوهاب . وهي :

في البحر لم فتكم — في البر فتوني

بالتبر لم بعتكم — بالتبن بعتوني

ان كنت وردة في بستاني — قطفوني

لو عدت دى المرة — هاتو المر واسقوني

وفي قطعة جميلة لاتنم الا عن العتاب والغزل والا لم .. ، اما حقيقة الامر فهي ان سعيد عبده كان ينقد حكم رئيس الوزراء آنذاك اسماعيل صدقي باشا «نوري سعيد مصر في الثلاثينات» ويعرض بحكمه المستبد الفردي .. ويصف وضع اسماعيل صدقي على لسانه !! فاذا بها تصبح قصيدة مغناة على لسان العشاق المهجورين .

وقد كتب سعيد عبده كثيراً في قضايا السياسة والاجتماع والنفس . ومجاله واحاديثه

طريقة جذابة ممتعة ، وكسب الكثير من الاصدقاء والمعجبين أينما حلّ وعمل ...

نشاطه في المجال الطبي :

ظل سعيد عبده مثابراً في حياته الطبية حتى بعد تقاعده عن العمل الرسمي . وكان استاذاً للصحة العامة وطب المجتمع والطب الوقائي في كليات الطب التي عمل فيها في مصر والعراق . وكان عضواً في جمعيات طبية مصرية وعربية وعالمية مثل : جمعيات الطب والصحة المصرية ، والجمعية الصحية الامريكية ، والجمعية الصحية الملكية في انكلترة ، والمجلس المركزي للتربية الصحية في انكلترا ، والاتحاد الدولي للتربية الصحية في جنيف .

وكتب عشرات المقالات العلمية في المجالات الطبية المحلية والعالمية تتعلق بالتربية الصحية ، ومكافحة السرطان ، والتخطيط الصحي المدرسي ، والتخطيط الصحي القروي ، ومكافحة الامراض المتوطنة ، والتعليم الطبي ، وآداب المهنة والسلوك وعلاقة المريض بالطبيب وبالعكس .

ومن انتاجه في الحقل الطبي نذكر انه اشترك في ترجمة كتاب (المرشد الطبي الحديث) ـ منشورات المكتبة الحديثة ـ بيروت ، وفي تحرير ورئاسة تحرير مَجلتي : (المجلة المصرية للصحة العامة) و (طبيب العائلة) . وترجم كتاب (قصة الطب) تأليف جوزيف جارلند .

(عبد السلام العجيلي)

الطبيب الذي لازم العيادة والكتابة ..

من الاطباء الاحياء ـ اطال الله عمره ـ الدكتور عبد السلام العجيلي من القطر السوري الشقيق الذي نقرأ له وسمعنا باسمه من الاذاعات ـ وخاصة اذاعة لندن التي كانت تخرج وتذيع رواياته في حلقات مسلسلة جذابة .

حياته وسيرته الشخصية ...

ولد في عام ١٩١٨ في مدينة (الرقة) الواقعة في الجزيرة السورية ـ العراقية ، من عائلة

راسخة الجذور والفروع - وهي عشيرة (العجيلي) من جزيرة الموصل قرب (دير الزور) . وهي احد فروع عشيرة (البو بدران) المنحدرة اصلاً من سلالة الامام الحسين بن علي . واشتهرت عشيرته برهافة الحس وحب المعرفة ونظم الشعر وبرجالات الحكمة (العارفة) .

بدات دراسته الابتدائية مبكرة وانقطع عنها في مرحلة الثانوية اربع سنوات بسبب المرض .. ، وكان يقرا بفهم آنذاك كل انواع المعرفة الى ان اصبح الاول في الدراسة الاعدادية في القطر السوري وانتسب الى كلية طب جامعة دمشق عام ١٩٣٨ وتخرج فيها عام ١٩٤٥ - اي في نهاية الحرب العالمية الثانية .

ومنذ ذلك التاريخ ادرك ان العلوم الصرفة وحدها ليست كافية لوحدها كوسيلة للمعرفة . ولم يكن يميل الى الطب بادىء الامر قدر ميله الى الفيزياء ، لكنه احبها بعدئذ وظل وفيا لها ووجد فيها ميداناً خصباً لانشطته الاخرى .. فقد كان شاعراً وكاتباً ومياﻻً للقصة والرواية .

وكان خجولاً متواضعاً لايحب الظهور واستعمال كلمة «أنا» . قرأ كثيراً في الدين ، ومارس الصلاة والصوم منذ صباه . واحلام اليقظة كانت رياضته الفكرية الاولى على الهواء وقبل الكتابة ، وكانت احلاماً بطولية .. وغالباً ما يكون هو بطلها ! .

عندما استفسرت منه يوماً ان يستزيدني بمعلومات عن حياته الشخصية اجابني بان ارسل لي كتابه (اشياء شخصية) الذي يحتوي على فصل كامل يتناول جوانب حياته وليس كل زواياها . والذي اعرفه انه متزوج ، وله اطفال (لا ادري عددهم) ، وكفى . اما عن اخوته واخوانه .. . وهل يسافر وحده ام مع اسرته فلا ادري ايضاً ! لذلك كانت معلوماته «شخصية» .. وليست «ذاتية» ! .

ومعروف عن عبد السلام العجيلي كثرة اسفاره ، تلك الاسفار الفكرية - الاستطلاعية التي تعتبر مصدراً اساساً لقصصه وكتاباته ، ورحلاته تناولت كتابين من كتبه كما سنرى .. .

ومن اقواله «لايمنعنا ان نكون عباقرة الا زوجاتنا !» لكنه يؤكد بعدئذ ان زواجه قد افاده كثيراً في استقراره النفسي وتجاربه .

وكاد ان ينتهي من زيارة جميع ارجاء المعمورة شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً .... وذكر تجاربه وانطباعاته في (حكايات من الرحلات) و (دعوة الى السفر) ، عدا المحاضرات والاحاديث والندوات .

اضطر الى مزاولة ادارة مزارع واملاك والده الذي توفي في عام ١٩٦٣ ، ورعاية اسرته . ومن المفارقات انه كان يرغب في هذه المهنة قبل دخوله كلية الطب ، فاصبح طبيباً ثم مدير اعمال

وادبياً في آن واحد ...

الطبيب المثابر ....

منذ تخرجه في كلية الطب عام ١٩٤٥ فتح عبد السلام العجيلي له عيادة خاصة في مدينة الرقة بالذات دون تردد او تلكؤ تاركاً بجرأة كل مغريات المدن الكبيرة مثل حلب ودمشق .

ولعل ابرز ما في شخصية العجيلي اعتزازه بعيادته وعمله كطبيب في الريف ، وكذلك استمراريته ومثابرته في نفس مدينته دون هجرة وتنقل . فقد بدأ ممارسة الطب على حسابه الخاص في (الرقة) منذ ان كان عدد سكانها (٤٠) الف نسمة واستمر يعمل فيها حتى كبرت وتوسعت واصبح تعداد نفوسها اضعاف ذلك .

وهو كطبيب اهلي غير موظف يتعاون مع الطبيب الحكومي الآخر في تلك المدينة .

والدكتور عبد السلام طبيب شعبي متواضع واسع الصدر متفهم بعقلية وامزجة مرضاه الذين اغلبهم من البدو او المتحضرين ذوي الاصول والتقاليد والافكار الريفية ـ البدوية .

وهو يتحرج من العلنية والدعاية . ولعل كونه طبيباً في مجتمع ضيق قد عزز هذا الاتجاه فيه . وهو يعمل في عيادته حوالي العشر ساعات ، وما يتبقى له من وقت يقضيه في المطالعة والكتابة وحوالي ربع السنة في الرحلات . وكل ما ينتجه هو في اثناء الوقت المتبقي من العيادة .

وعندما سمع ان احد السياسيين كان يمتدح مهنته (السياسية) ويرفعها الى مستوى الوله والتقديس ، قال هو معقباً : «اتراني اتنازل عن مهنتي لقاء اية مهنة اخرى في الوجود ؟ ... ان اردتم الصراحة ، فان اجمل عمل في الدنيا بلا شك او منازع هو الطب ! .

وقال تعقيباً على وضع الطبيب في المجتمع ونظرة الدولة والناس اليه ، والاقاويل التي تطلق على الاطباء ودون تمييز ، « .. عندما اسمع بذلك تثور في نفسي غيرتي وتعصبي لزملائي فأتمنى لو يتاح لي كطبيب ان انشر في الصحف شكواى من المرضى ومن اساليب معاملتهم لي ومن تذرعهم باسم الواجب الانساني في ازعاجي بطائل او غير طائل . وكل طبيب مثلي في جعبته اكثر من دواعي التذمر والشكوى .. ، فأيهما احق .. الاطباء .. ام المرضى ؟» .

وفي مقالة له بعنوان (لكل شيخ طريقة) يشرح كيف ان الاطباء يختلفون في تعاملهم مع المرضى ، وكيف ان بعض الزملاء والاصدقاء (من اطباء المدن الكبيرة) يعاملون مرضاهم وفق اصول وشروط : كالفحص في العيادة ، فقط واستلام الاجرة مقدماً وعدم رفع الكلفة .. الخ .

اما (طريقته) هو فلا تتفق مع اولئك لانه طبيعي غير متكلف ويؤدي خدماته للبشر حسب طبائعهم .

وتنعكس دراسته وممارسته للطب في كثير من قصصه واحاديثه ، ويستفيد من العلم ليس في كتابة القصة العلمية بل في استطلاع جوانب الحياة والكشف عن طباع البشر ، ولا يتحيز للعلم او الروحيات او الخوارق الطبيعية .

حياته الأدبية :

حاول العجيلي كتابة الشعر قبل ان يعرف الاوزان ، وجرب كتابة حكايات وروايات قصيرة وهو في سن الثانية عشرة ، ولكنه بدأ في الكتابة الجادة وهو في مرحلة الدراسة الثانوية .

وأول ما نشره كانت قصة بدوية بعنوان (نومان) في مجلة (الرسالة) المصرية عام ١٩٣٦ وبتوقيع مستعار (ع . ع .) مما كان مبعث ثقته لنشرها دون تأخير في اولى مجلات العالم العربي الادبية . وتدور القصة حول قاطع طريق بدوي لكنه شهم (لص شريف) . وتابع نشر القصائد والقصص والتعليقات باسماء مستعارة بلغت ٢١ اسماً لم يطلع احد على حقيقتها . وكان التنكر ، حسب تحليله ، لمجرد الخجل في مرحلة الشباب وطبيعته الانطوائية منذ طفولته وايمانه بان الفعل خير من الكلام .

وفازت قصة شعرية له عن (الجندي في ميدان القتال) بالجائزة الاولى من اذاعة لندن عن طريق اذاعة دمشق . ويبدو انه متمكن من الكتابة في كل المجالات ، وهي موهبة لاينكرها على نفسه .

نشر اول مجموعة قصصية له (بنت الساحرة) عام ١٩٤٨ واول مجموعة شعرية (الليالي والنجوم) عام ١٩٥١ . ثم توالت رواياته ومجموعات محاضراته ومقالاته ورحلاته فكانت : (ساعة الملازم) - مجموعة قصصية عام ١٩٥١ ، (حكايات عن الرحلات - عام ١٩٥٤ و (قناديل أشبيلية) - عام ١٩٥٦ وهي مجموعة قصصية ، (باسمة بين الدموع) رواية عام ١٩٥٩ ، (الحب والنفس) مجموعة قصصية عام ١٩٥٩ ، و (رصيف العذراء السوداء) قصة طويلة عام ١٩٦٠ ، (الخائن) مجموعة قصصية عام ١٩٦٠ ، (المقامات) ١٩٦٣ ، (دعوة الى السفر) عام ١٩٦٣ ، (الخيل والنساء) مجموعة قصصية عام ١٩٦٥ ، (اشياء شخصية) عام ١٩٦٨ ، (فارس مدينة القنطرة) عام ١٩٧١ ، (قلوب على الاسلاك) ، (حكاية مجانين) عام ١٩٧٢ ، (أحاديث العشيات) ، (السيف والتابوت) عام ١٩٧٤ ، (عيادة في الريف) عام ١٩٧٨ . كتب العجيلي مايزيد على ٧٥ قصة قصيرة و ٣٥٠ مقالة ومحاضرة في المجلات والجرائد السورية والعربية ، مثل : الرسالة ، والأديب ، والاسبوع العربي ، والموقف الادبي ، والنهار ، والديار .. الخ ... والقى عدداً كثيراً من

المحاضرات والاحاديث في المنتديات والجمعيات الادبية والعلمية والاجتماعية والسياسية في سوريا ولبنان والبلاد العربية اضافة الى الاذاعات في الشام والقاهرة .

وكان يجمع بعض هذه المقالات المهمة ليعدل فيها او ينشرها كما هي في مجموعة كتب . وكان يضطر الى الكتابة احياناً بناء على الحاح ودعوات من الاصدقاء والاندية ولكنه مايلبث ان يجد فيها المتنفس لابداء آرائه بصراحة وبلاغة .

وكذلك جمع القصص القصيرة ونشر معظها في مجموعات بعد نشرها فرادى . وكانت بعض القصص قد تليت دون نشر في منتديات وجمعيات ادبية .

اشعاره على العموم قليلة ، وكانت مجموعته (الليالي والنجوم) هي الاولى والاخيرة . لكنه لايزال يكتب قصائد متفرقة بين حين وآخر . واشعاره وجدانية عاطفية ، رافقت فترة شبابه .

وهو يعتبر المطالعة حافزاً على الكتابة والانطواء والحياء دافعاً له على التعبير عن احاسيسه في الشعر والقصة . ويعتقد ان فشل بعض المثقفين العرب في تطوير مجتمعهم يعود الى عدم توثيق صلتهم بجماهير امتهم العربية ، والى كون الآخرين قد تشبعوا بثقافات غربية وتسلحوا بشهادات اجنبية دون عودة الى تراثهم وأصالتهم لتكون سبيلاً الى استخدام علمهم لتطوير امتهم .

نظرة نقدية الى ادب العجيلي :

امتاز عبد السلام العجيلي بسلامة الحديث وسرد القصة والحكاية والنكتة ، لذلك نجده يروي القصص في كل احاديثه ومحاضراته وجلساته . قد يستهل الحديث بحكاية ، وقد يروي حكاية بعد اخرى .. ، ثم ينهي المقالة بحكاية اخرى او قول ماثور .

وهو فنان بارع في كتابة المقالة والقاء المحاضرات لانه يشد القارىء والمستمع بثلاث خصائص :

آ ـ وحدة الموضوع .

ب ـ سلاسة وبساطة العبارة .

ج ـ مع جاذبية الحكايات والامثلة وخفة روحها او سخريتها وهزلها الهادف .

ويخيل للقارىء ان جميع قصصه واقعية ، ربما لأن غالبيتها مكتوبة بصيغة الرواية (الكاتب) او (شاهد العيان) . والصحيح ان الواقعية فيها ذات ثقل كبير ممزوجة بخيال واسع تجعل منها نسيجاً جذاباً من الانعكاسات الحياتية المليئة بالمآسي والكوميديا والمتناقضات

والسخرية ، وهو بهذا يشابه تشيخوف وموباسان وكتاب القصة العرب الرواد في الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن . وقد ارتابت زوجته به مرة بعد نشر روايته (طارق عمران) لما فيها من حوادث تثير الشكوك حوله ! وقد توهم بعض القراء ايضاً انه غازل سكرتيرته في منتصف الليل وفي دارها من خلال قصته (ضوء في النافذة) ، وتصور آخرون ان (سالي) هي زوجته فعلاً .

وابطال العجيلي اناس طبيعيون جداً لهم ادوارهم الواضحة ، ويشعر القارىء وكأنهم مسجلون في سجلات الاحوال الشخصية لذلك البلد لشدة واقعيتهم . ويقول العجيلي في ذلك : «ابطال الفنان جزء من شخصيته مثلما قال غوستاف فلوبير مؤلف مدام بوفاري ـ مدام بوفاري هي انا ـ . وهكذا استطاع عبد السلام العجيلي المزج بين الواقع والخيال بمعادلة لذيذة مقبولة . ولهذا السبب ، وفي مجموعته القصصية (بنت الساحرة) التي يحب فيها البطل غجرية ـ عتب المعارف والاصدقاء على والد الدكتور العجيلي كيف يحب غجرية وينشر ذلك على الملأ ! .

ويعتبر العجيلي ان بتر القصة في النهاية احياناً هو اسلوب للتأثير في القارىء ، وان الحيرة تحرك فضول القارىء ، ودليل نجاحه ككاتب قصة . ولايعتبر ان قصصه واقعية صرفة (رياليزم) ولا رومانسية صرفة ، بل هي مزيج من الاثنين ، اي انه يعالج الفكرة الخيالية بطريقة واقعية كما يتجلى ذلك في قصص (العراف) و (فارس مدينة القنطرة) ومقالة (رمطقة ـ الواقعي وتوقيع ـ الرومنطيقي) .

وهو يدير احاديثه ويدبج مقالاته وقصصه ورواياته بفن ومهارة طبيعية غير متكلفة ودون اصطناع . لكن يلاحظ في كتاباته انه يكرر حكايات واقوالاً سبق وان كتبها ، وهي وان لم تكن كثيرة ، فانه يستشهد بها لوجوب موقعها في سياق المقال .

وفي (قناديل أشبيلية) اعاد احياء أجواء التراث العربي وابطال تلك المرحلة . وفي كتابة الأخير (عيادة طبيب) ياتي بصور واقعية عن حياة الطبيب واحوال المرضى واخلاقهم وطباعهم ويعكس واقع مجتمعه الريفي الذي لايختلف عن اي مريض عربي لان الطبيب الذي يطلع عليه يدرك لاول وهلة ان ذلك حاصل في بيئته في جميع ارجاء الوطن العربي . كما يوضح الكتاب كيف تؤثر الطبابة في كتابات الطبيب الأدبية .

ويعتبر العجيلي ان القصة محصلة الفنون الادبية في هذا العصر ، والتفوق في كتابتها ليس من الامور السهلة ، وان كتاب القصة المحدثين انتاب بعضهم اليأس او الفشل في اندفاع

لتقليد الغرب او استخدام الرمز في غير محله ، او التستر وراء الغموض او الابتعاد عن واقع المجتمع .

لكنه يعتبر الشعر احب الولن الأدب الى نفسه ، ويعتبر ان الثورة المعاصرة على الشعر القديم وضوابطه واوزانه جاء عن عجز الشعر في التعبير المجزي لقضايا العصر . فلما تحرروا من قيود الشعر وحطموه اكتشفوا ان العلة ليست في الضوابط والاوزان بل في قابلية استيعاب الشعر لكل شيء . فالشعر وعاؤه سعة وحدود ونفس معين ، اما القصة فاستيعابها اوسع من ذلك بكثير . وهو يرى ان القصة العربية الحديثة بدأت بالنضج والتحسن ، اما القصيدة فلاتزال تشكي وتبكي وتحكي الاشجان الانفرادية .

اما عن الرواية العربية فيقول انها قاصرة جداً ، وان الروائيين العرب يعدون على الاصابع ، وان القارىء العربي قارىء مجلة وليس قارىء كتاب ...

في السياسة والمجتمع :

لم ينتسب الدكتور العجيلي الى وظيفة حكومية اذ حرص دوماً على حريته الشخصية واستقلاليته . لكنه عمل في الجيش متطوعاً في حرب فلسطين عام ١٩٤٧ ، واشترك في الانتخابات النيابية . وفشل مرة ، ثم نجح في تمثيل منطقة الرقة كنائب في مجلس النواب عام ١٩٤٧ ايام انقلاب حسني الزعيم . وكان اصغر النواب سناً آنذاك .

وتولى الوزارة عام ١٩٦٢ لمدة خمسة اشهر كوزير للثقافة والخارجية والاعلام . ثم هجر السياسة ، ربما استياء .. او لخيبة الظن ، وظل مراقباً لها ومتتبعاً كمواطن ومفكر وكاتب . ثم اضطرته ظروف حرجة في سوريا الى ان يكون وزيراً بعد الانفصال ، لكنه خرج منها بطعم المرارة في العمل السياسي .

في الجيش ، كان مع فوج اليرموك الثاني بقيادة اديب الشيشكلي واتاح له ذلك الاطلاع على حقائق كثيرة من امور العروبة والحكام وقضية الشعب الفلسطيني والخطر الصهيوني .

ويمكن للقارىء معرفة العجيلي من خلال كتاباته بانه انسان قومي يؤمن بالعروبة والاستقلال والتحرر من الاستعمار ومؤامرات الصهانية . وهو يذكر ويعيد ذكرى ايام شارك في معارك الجيش السوري ضد عصابات الصهاينة عام ١٩٤٨ عندما فرض التقسيم وبتدبير وتخطيط وخيانة ، وتتجلى عروبته وايمانه بمستقبل الامة العربية في ذكر مواقف البطولة للفدائيين والعشائر وفي الاشادة باصالة في المزاج العربي الصريح الجاف حتى بين مرضاه ،

وفي دفاعه عن العرب امام اتهامات او تفسيرات (ابن خلدون) عندما وصفهم بالوحشية وميلهم الى التخريب والعيش في البراري في مقالته عن (التجريد والتجسيد) .

والعجيلي كثير السفر والمرح والتفاؤل . انيق .. ، يجمع بين الجد والهزل .. نكاته لاذعة من غير ايذاء . يعتمد على ذاكرته المرهفة : انا لا اجر في اسفاري غير افكاري .. ، انظر بعيني واحتفظ بالذكريات في نفسي» .

وبتوالي السنين زادات علاقاته الاجتماعية وتشابكت ، اضافة الى علاقاته الأدبية والفكرية داخل القطر وفي البلاد العربية والاوربية . وهو ينتقد الكتاب والشعراء المرتزقة ، لكنه يدافع عن الأديب الحر الذي يختار اسلوبه الخاص في خدمة وطنه وقومه ، ويمتدح الاديب الملتزم بشرط الا يكون منفصلاً بل فاعلاً في انتاجه الأدبي .

ويشك العجيلي في نوايا ومقاصد (جائزة نوبل) التي تمنح الى كتاب ومفكرين لأسباب خاصة تتعلق بلعبة الأمم مثلما منحت الى (باسترناك) اليهودي الروسي لكتاباته التي « تطعن في النظام السوفيتي. ويقول انه لن يستغرب ان تمنح الجائزة يوماً لمفكر عربي، وستفاجأ الجماهير العربية بأن ذلك الكاتب يدعو الى الاستسلام ومهادنة الصهاينة والانعزال والخنوع للأجنبي...»

(مصطفى محمود)

القصاص .. الكاتب .. المتصوف

«مصطفى محمود ، شاهد على عصره» عنوان كتاب للناقد المعروف جلال العشري (دار المعارف بمصر ١٩٧٦) تناول فيه اعمال وافكار الدكتور مصطفى محمود وموقعه بين كتاب ومفكري هذا القرن . وهو يقول بايجاز «ان اية محاولة لمعرفة مصطفى محمود انما هي في حقيقتها محاولة لمعرفة الله والانسان والعالم وعلاقة كل منهما بالاثنين الاخرين» ..

اما الدكتورة سهير القلماوي فقد هاجمته على اساس انه تاه في محاولة الجمع بين العلم والدين . وكذلك هاجمته الدكتورة بنت الشاطيء بعد محاولته تفسير القرآن تفسيراً عصرياً لعدم اهليته لذلك باعتباره ليس شيخاً ولا من الامناء .

والدكتور مصطفى محمود من الاطباء الذين مارسوا الطبابة بضع سنوات وما لبث ان تفرغ لكتابة القصة والرواية والمسرحية والمقالة ثم الفلسفة والدين . وبلغ عدد كتبه لحد الآن اكثر من (٤٨) عدا المقالات .

حياته الشخصية :

ولد الدكتور مصطفى محمود عام ١٩٢١ في (شبين الكوم) المدينة الصغيرة في مديرية المنوفية ـ الوجه البحري لمصر . وسرعان ما انتقلت اسرتـه الى طنطا حيث امضى دراسته الابتدائية والثانوية . ثم انتقلت الاسرة الى القاهرة لاكمال دراسته الجامعية ، فتخرج في كلية طب القاهرة عام ١٩٥٢ وما لبث ان هجر الطب تماماً عام ١٩٦٠ بعد ان تخصص في الامراض الصدرية وكان والده سكرتيراً لمديرية الغربية .

احب وهو لايزال صبياً في العاشرة .. ، ثم احب بعدئذ وتزوج عام ١٩٦٢ وانجب ابناً وبنت (ادهم وامل) ، لكن الخلاف دب في بيت الزوجية وتفاقمتا الأمور فترك الشقة وطلق زوجته وسكن في دار اخيه مع والدته . ويعلق مصطفى محمـود على ذلك بقـوله « فشلت في ادارة اسرتي . تزوجت عن حب وافترقت عن فشل متبادل» . ويبدو انه لايميل الى تكرار تجربـة الزواج مرة اخرى .

ويحب مصطفى محمود الموسيقى ويعزف على الناي والعود . يسافر كثيراً ويتمنى لو يزور جميع الاقطار العربية ، لكن اغلب رحلاته كانت الى اراضي الحجاز حيث مهد الرسالة النبوية مكة والمدينة . سافر الى ادغال افريقيا جنوبي السودان وعاش مع قبائل (النيام نيام) لمدة شهرين ، والى صحراء المغرب ليختلط مع قبائل الطوارق ، والى الهند ودون ملاحظاتـه وانطباعاته في مقالات وكتب .

ويعيش ببساطة متناهية في شقته بالزمالك ، ولا يلاحظ الزائر غير مجموعة لوحات معلقة على الجدار تضم نماذج نادرة من الفراشات الملونة ذات التطريز الغريب والالوان الباهرة . ويقول انها صور بسيطة لابداع الخالق وجمال الكون . ومن يقابله يجد فيه الشخص المتواضع الذي يسير الهوينا وبحذر ويتكلم ببطء واسترخاء ويناقش بهدوء وثقة .

وليس لمصطفى محمود مكتب وكرسي اذ يكتب على قطعة خشب وفي السرير ، ويمضي الساعات الطوال وهو يتأمل ويفكر على كرسي مائلة في شرفة تطل على النيل في شقته بالزمالك. وقد بدأ الكتابة وهو طالب في الثانوية، ونشرت له (الرسالة) مقالات منذ عـام ١٩٤٧. وكتب في مجلات وصحف (المصـري) و(اخبـار اليـوم) و(آخـر سـاعـة) و(التـحـريـر). ثم التـحق بـ (روز اليوسف) عام ١٩٥٣ وتفرغ الى مجلة (صباح الخـير) لحد الآن. وكتب في مجلات عربية متعددة.

من الشك الى الأيمان :

لعل اقصر السبل الى فهم افكار وانتاج مصطفى محمود هو متابعة مراحل تطوره الفكري ونظرته الى الحياة والكون . فعندما بدأ دراسته الطبية واستهوته نشوة العلم والتقنية واصابته خيلاء الاكتشافات العلمية المتتالية .. فبدأ يحلم .. وبالحلم وصل الى (الفانتازيا) او الحلم التطبيقي . لذلك قارب الالحاد في رحلة الشك - اذ اتهم به لانه اقتصر على التفسير العلمي للظواهر الحياتية فابتعد او تناسى الايمان والدين والقدرة الالهية .

وكان يحب العلوم وخاصة الكيمياء والفيزياء الكهربائية . وانشا له مختبراً زاول فيه تجاربه (وربما هو مصدر وحي روايته العنكبوت ..) . ويقول انه كان يتمنى لو اصبح مخترعاً مثل اديسون وماركوني . كما مارس رياضة (اليوجا) وقرا اصولها وتعليماتها على يد اساتذة هنود ، وراقت له فكرة التناسخ مدة طويلة .

وبدأ الشك يساوره عندما وجد نفسه اسيراً لمكتشفات عقيمة او خائبة بالنسبة لعقله المتسائل المتفتح . فبدأ يشك في نظريات فرويد وماركس وانجلز واليوجا وفلسفة الهنود وكتابات المتصوفة .. ومر بأزمة المد والجزر .. ثم اذا به يقرأ ويلتهم الكتب القديمة والحديثة ويراجع مافي الاسلام من تعاليم ومافي القرآن الكريم من كنوزه وبدأت رحلة الشك تصل الى النهاية .. والى الايمان . ولخص تلك الرحلة في كتابه (رحلتي من الشك الى الايمان عام ١٩٧٠) .

ومنذ تلك المرحلة بدأت رحلته الاخرى في عالم التصوف والدين .. ولايزال يقطع الرحلة ويدور في مسالكها ولايزال يكتسب في امور الدنيا والدين .. كما نجدها في كتبه (الوجود والعدم ١٩٧٦) و (التوراة ١٩٧٢) و (الطريق الى الكعبة ١٩٧١) و (الله ١٩٧٢) و (رأيت الله ١٩٧٣) ... ولكن الى اين وصل ؟ وماذا قال ؟ سنرى ذلك . ومن المفيد ان نذكر قوله «الحكمة من هذه الدنيا معرفة الاله ...» .

في القصة والرواية والمسرح :

كتب مصطفى محمود العديد من القصص والروايات والمسرحيات ، وبدأ حياته الادبية بذلك . كما جمع القصص القصيرة في كتب متفرقة . ولا تتقيد قصصه بشكل او مذهب معين في القصة ، بل تعتمد على تحليل مواقف الشخوص في الحدث . وابطال قصصه ذوو آمال واحلام وذوو اشجان واعباء . ونرى ذلك في مجموعة قصصه المتناثرة مثل (آكل عيش - ١٩٥٤) و (عنبر ٧ - ١٩٥٧) و (شلة الانس - ١٩٦٤) و (رائحة الدم - ١٩٦٥) . ومثلت (شلة الانس) على الشاشة بنجاح .

ونلمس من خلال قصصه وعلى لسان ابطاله افكاره وفلسفته في الحياة والوجود والسياسة والعلوم والحرية ، وتنطلق تلك الافكار حتى لو كان البطل امياً بسيطاً . فهم متمردون وثائرون ، وهم يتحدثون عن الفضيلة ويمارسون الرذيلة ، يتطلعون الى المثاليات ولايغادرون اطار عصرهم ، ويدعون الى كل ماهو انساني .. يحاربون الخبائث ويقاومون الانتحار وينقدون الواقع المرير . وآخر اصداراته القصصية (اعترافات عشاق ـ ١٩٧٨) .

ولمصطفى محمود باع في الرواية فقد عالج فيها مسائل كبيرة في الفكر الانساني كالموت والحياة .. والبعث والخلود . ففي رواية (المستحيل ـ ١٩٦٠) خرج من النزعة الواقعية المتزمتة ليجعلها واقعية محلقة ـ رومانسية ، فيكتب عن مواجهة الانسان للمستحيلات والغربة . وعرض في الرواية اسلوب التحليل النفسي لفرويد ويونج وقدم حواراً باسم المتكلم عن اللاشعور باسلوب رمزي . وفي (المرحلة الهندية) من رحلة مصطفى محمود الفكرية ـ كما يدعوها هو ـ تلمس بوضوح اعتقاد بتناسخ الارواح ووحدة الكون الهندوسية كما هي واضحة في روايات (العنكبوت ـ ١٩٦٥) التي تصف معنى الزمن والماضي والحاضر .

وفي (الخروج من التابوت ـ ١٩٦٥) اوضح ان الحقيقة اكبر من اي مذهب او عقل فهي اصل المذاهب . وفي (الافيون ـ ١٩٥٨) تصوير دقيق جميل لمعاناة الذات ومراحل التحول الذهني من الصحة الى التشوش ثم الجنون . فهي خليط من الدراما والخيال . وفي (رجل تحت الصفر ـ ١٩٦٦) يتطرق الى موضوع الزمن والسرعة وينتهي الى التأكيد على فكرة الخلود وعدمية العدم اي (وجود الوجود) وذلك في تجربة العالم الدكتور الذي يتعرض الى التجسيد تحت الصفر ... والى حدود (الصفر المطلق) .

اما مسرحيات مصطفى محمود فتخرج عن اطار المسرحيات التقليدية القديمة ، فهي مسرحيات واقعية تختلف بطابعها عن واقعية يوسف ادريس ولطفي الخولي ، وهي اقرب الى مسرح الفريد فرج ومحمود دياب ومن مسرحياته : (الزلزال ـ ١٩٦٣) التي تتضمن استعراضاً للوسط البورجوازي ونقداً للتفكك العائلي ومفهوم العفة .. ودعوة الى الاخلاق والدين . وفي (الانسان والظل ـ ١٩٦٤) يناقش مشكلة الجسد من الناحية النفسية ومعنى فقدان الذات . وفي (الاسكندر الاكبر . ١٩٦٣) يثير مسألة الطغيان والعبقرية وجنون العظمة وفقدان الغاية والوسيلة ، واعتبار الحرب كل شيء ولاشيء وراءها .

اما مسرحية (غوما ـ ١٩٦٨) فتدور حول الزعيم الليبي (غوما) وكفاحه ضد الدخلاء الاجانب . وقد طبعت بطبعتين في ليبيا ووافقت الرقابة المصرية ورئيس هيئة السينما والمسرح

على تمثيلها على (مسرح الحكيم) في القاهرة بعنوان (الزعيم) ثم حدث ما اضطر المخرج الى إيقاف بروفاتها .

ومسرحية (الشيطان يسكن في بيتنا ـ ١٩٧٣) تدور حول دور المستعمر والمخرب في هدم الكيان الوطني الاصيل واستهداف التماسك الاخلاقي . وقدمت على المسرح في القاهرة .

رحلات مصطفى محمود :

كتابات مصطفى محمود كلها رحلات .. رحلات في النفس والانسان والمجتمع والحياة والكون . ومع ذلك ، فقد اغنى الكاتب تجربته الفنية والفلسفية بمادة غنية من المشاهدات الفعلية بالسفر . ودون ملاحظاته ودراساته وتعليقاته في سلسلة كتب هي : (الغابة ـ ١٩٦٣) التي تصف رحلته الى افريقيا الاستوائية و (مغامرة في الصحراء ـ ١٩٦٩) وهي رحلته الى الصحراء الكبرى و (المدينة او حكايات مسافر ١٩٦٨) وتتضمن انطباعاته عن اقطار اوربا ، و (رحلات مصطفى محمود ـ ١٩٧٢) وهي المجموعة الكاملة لما سبق .

ان مجموعة رحلات مصطفى محمود تشكل نواة لأدب الرحلات الحديث . والرحلات هي طابع العصر واصبحت من مستلزمات المعرفة للاديب والفنان ونجد تأثير ذلك واضحاً في ادب يوسف ادريس وعبد السلام العجيلي . اما آرؤه وتعليقاته فهي عرضة للمناقشة دون شك .

مصطفى محمود .. والاسلام

اعتبره بعض النقاد بمصاف مفكري وفلاسفة الدين المعاصرين من امثال (محمد اقبال) و (العقاد) ومن مؤسسي مدرسة (الاسلامولوجيا الحديثة) ـ اي الاسلام والعلم .. ، او الجهاز والكيان المستقل الذي يحكم حياتنا اليومية بكل تفصيلاتها .

وفي كتاب (الله والانسان ـ ١٩٥٥) يوضح وحدة الوجود واتساق نظامه وتقنيته الذي يؤدي الى الله . وفي كتاب (ابليس ـ ١٩٥٨) يتطرق الى مسائل الشر والخير والفتنة ويعتبر ان ابليس يتنكر بصور مختلفة هي الجنس والشهوة والخطيئة والحقد والانتقام والحرب والنفاق .

وفي التصوف يقوم مصطفى محمود بمغامرات ومحاولات فكرية بارعة تؤدي بالقارىء الى مفاهيم الوجود والكون والخالق ، كما يتطرق الى ذلك في عدة كتب مثل (الله ـ ١٩٧٢) و (رحلتي من الشك الى الايمان) و (حوار مع صديقي الملحد ـ ١٩٧٤) و (محمد ـ ١٩٧٥) و (الطريق الى مكة ـ ١٩٧٦) . وفي كتابه (رأيت الله ـ ١٩٧٣) يتخذ من الصوفي الاسلامي (محمد بن عبد الجبار النفري) عالماً ومعلماً ويؤكد على ان رؤية البصيرة انفذ واقوى من رؤية العقل القاصرة . وفي (السر الاعظم ـ ١٩٧٥) يتناول بشغف افكار المتصوف الفيلسوف (ابن

عربي) الذي يعتبره من اعظم المتصوفين الذين ادركوا معنى الحقيقة القصوى او المطلق ، ويشير الى ان الصوفية في حقيقتها (تذوق) لأنها تعبر بالاشارة والايماء .

وفي تفسيره العلمي للقرآن الكريم (القرآن ـ محاولة لفهم عصري ـ ١٩٦٩) يتناول مواضيع فقهية وفلسفية وغيبية من زاوية علمية ـ صوفية ـ ولايتحرج من قوله (لا اعرف .. والله اعلم) عندما يصل الى مواقع غامضة مغلقة . ونراه موفقاً في كثير من التفسيرات وحائراً في غيرها وفاشلاً في البعض الاخر ، الا انه يتقدم بتفسير لم يسبقه اليه احد من المفسرين المعروفين . وفي مقاله (من اسرار القرآن ـ ١٩٧٦) يتحدث عن (علم نفس ديني) ولا يفرق بين مدارس علم النفس كما يتناسى ان علم النفس يؤمن بالدين ويعتمد عليه كأحد وسائل العلاج ..

وينتقد مصطفى محمود بعض شطحات ومغالاة المتصوفة في كتابه (السر الاعظم) وفي تعليقه على اشعار (ابن الفارض) اذ يقول ان التسليم الاعمى بكل ماموجود في التراث الصوفي يؤدي بصاحبه احياناً الى الكفر والضلال الصريح ، وان بعض اقوال المتصوفة اثناء الوجد والذهول هو كلام كاذب في الحقيقة .

ان مصطفى محمود يحاول ويجاهد دون كلل ايجاد (ايديولوجية اسلامية) ترد على الخصوم وتجعل منه اسلوباً في الحياة يصلح لكل الازمان دون الاستناد الى اليسار او اليمين . وهنا تتضح الايجابية والثورية في فكر مصطفى محمود الذي يمكن اعتباره امتداداً لفكر عباس العقاد . فقد اتخذ موقف المهاجم بعد ان كان الافغاني ومحمد عبده والكواكبي يدافعون فقط من اجل تخليص الدين الاسلامي من الضلالات والشعوذة والخرافات والكهنوتية . فدعوة مصطفى محمود تنشد ايجاد موازنة بين الفرد والمجتمع عن طريق الاسلام واقتصاد اسلامي وعدالة اسلامية صرفة .

مصطفى محمود والمذاهب الاخرى :

يهاجم مصطفى محمود نظريات التحليل النفسي ومدرسة فرويد على الاخص والجانب الجنسي فيها ، لكنه ينسى نفسه احياناً ويستشهد بتلك النظريات . ففي مقدمة كتابه الاخير (اعترافات عشاق) يصرح ان الاعترافات والبوح بمكنونات الصدور قد يكون هو الحل والشفاء .. وهي عنصر مهم في عملية التحليل النفسي الفرويدي . كما يسخر من العلاجات الحديثة والعقاقير ذات التأثير النفسي بل يجعل في احدى قصصه من الطبيب النفسي المعالج مجنوناً بالاخير للدلالة على فشله وعقم طبه النفسي .

وعارض مصطفى محمود كل المذاهب الفلسفية السائدة من وجودية وماركسية ووضعية

وعلمية واستند الى الحدس الصوفي فقط لتفسير الحياة والسلوك والحقيقة ، وفي تنظيم أساليب العيش والحكم .. وقد دون آراءه تلك في مجموعة مقالات وكتب نذكر منها : (الله والانسان ـ ١٩٥٥) و (ابليس ١٩٥٨) و (في الحب والحياة ٩٦١) و (يوميات نص الليل ١٩٦٦) و (اعترفوا لي ١٩٥٩) و (٥٥ مشكلة حب ٩٦٦) و (الشيطان يحكم ١٩٧٠) و (الروح والجسد ١٩٧٣) . وتضم بعضها رسائل القراء اليه .

وبين مصطفى محمود والسياسة برود وجفاء . فهو يهاجم الساسة والسياسيين ولا يرضى منهجاً غير الاسلام . ومع انه يمجد الوطنية والاستقلال والتمسك بالاخلاق والتراث وينتقد المستعمرين الدخلاء فانه على العموم لايكتب في السياسة العامة الا نادراً ولم يوفق في ذلك . ولعله لم يركز هجماته على مذهب قدر تركيزه على الماركسية ونقدها . وله في ذلك صولات وجولات متسلحة بالمنطق احياناً وبالعلم احياناً اخرى وبالاسلام والتصوف والميتافيزيقيا في غالب الاحيان . ومن كتبه عن الماركسية واليسار : (حوار مع صديقي الملحد ١٩٧٤) و (الماركسية والاسلام ـ ١٩٧٥) و (لماذا رفضت الماركسية ـ ١٩٧٦) وهو موضوع نقاش وحوار مع خالد محيي الدين .

ويتناول مصطفى محمود قضايا العصر ومشاكله مثل التضخم النقدي وتلوث البيئة كما جاء في كتابه (الطوفان ـ ١٩٧٦) . ويقول على لسان احد الابطال : (صدقني يابروفسور جميع النظم فاسدة في الشرق والغرب لانها قائمة على الحسابات المادية وحدها .. على المصالح والارقام .. وعلى المادة دون الروح) ..

مصطفى محمود .. والطب والعلوم

ظهر اثر الطب في ادب مصطفى محمود وفكره جليا وفي جميع ادوار تحوله العقائدي . لكنه تأثر بالكيمياء والفيزياء كذلك . وكانت قصصه الاولى مستقاة من عيادته وممارسته الطبية ومختبره الكيميائي . اما رواياته العلمية فهي ذات خيال علمي ـ طبي يعتمد على اسس الفسلجة والتشريح والكيمياء والفيزياء ممزوجة بنظريات فلسفية ، وهي تمثل «الرواية العلمية» العربية المعاصرة : (العنكبوت) و (رجل تحت الصفر) و (الخروج من التابوت) ..

وكانت احاديثه التلفزيونية في شهر رمضان المبارك تدور حول الدين واسرار الكون وعظمة الخالق . واستعان على اثبات آرائه بافلام علمية عن الجراثيم والحشرات والمخلوقات والتفاعلات الكيميائية والفلك . وفي كتابه (اينشتين والنسبية ـ ١٩٦١) يشرح اثر نظرية اينشتين على مفهوم الزمان والمكان والحركة ووحدة الكون . وفي كتابه (الاحلام ـ ١٩٦٢) يقدم

تفسيراً صوفياً ـ وجودياً بدل نظريات علم النفس الحديث .

ورأى مصطفى محمود في الطب والعلم انهما يقودان الى الايمان بالله وانه ـ على عكس مايدعي الفيلسوف كانت ـ يمكن للميتافيزيقيا ان تقع ضمن نطاق التجربة الدينية ، اي انه لاينبغي ان نؤمن لكي نفكر بل ينبغي ان نفكر كي نؤمن ، لأن العلم هو الطريق الى الايمان .

مكانة مصطفى محمود .. ومستقبله :

لاجدال ان مصطفى محمود احتل مكاناً خاصاً في تاريخ الأدب العربي الحديث .. ومايزال يتعرض الى النقد بسبب افكاره المغرقة في التصوف احياناً ، والبعيدة عن واقع الوطن العربي احياناً اخرى . ولكنه كاتب مصلح بطريقته الخاصة . وهو وان ادخل الى الفكر الديني صيغة منطقية جديدة عن ظواهر الكون والحياة ، الا انه لم يستطع ان يؤسس تلك النظرية او المدرسة المتكاملة التي اطلق عليها بعض المتحمسين (الاسلامولوجيا) لأنها لاتزال في اول الطريق وفي مرحلة (المحاولات) .

ان مصطفى محمود شخصية متميزة مبدعة اضاف الى القصة العربية والمسرح شيئاً جديداً ، وقد نالت روايته (رجل تحت الصفر) جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٧٠ ، كما نال هو وسام العلوم والفنون من الدرجة الاولى عام ١٩٦٦ .

ان رحلة مصطفى محمود الفكرية لم تتوقف بعد .. ولا يمكن ان نحكم على اعماله الآن .. وعلينا ان ننتظر لانه لايزال يكتب ...

خلقت لكي اكتب .....

(يوسف ادريس)

احد الاطباء المصريين ، ومن البارزين اللامعين من كتاب العرب في القصة والرواية في القرن العشرين . قال في عيد ميلاده الخمسين : «لا اعاني ابداً لاكتب او لاعيش ... وازماتي لا أشعر بها كأزمات فهي جزء من تكويني . انا لست كاتباً بل مكتوب ، وكل جهدي ان استخرج مافي داخلي مجهولاً صامتاً الى الورق ليصبح نقشاً وكلاماً وشيئاً يراه الاخرون ....» .

حياته ....

ولد عام ١٩٢٧ ودرس الطب في جامعة القاهرة . واندمج في المد الثوري منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فعمل اولاً في الحركة الطلابية ، وكان سكرتيراً للجنة الكفاح المسلح في القتال عام ١٩٥١ ، واعتقل في احدى المرات .

وعمل طبيباً عاماً في عيادات ومكاتب وزارة الصحة المصرية في القاهرة . ويذكر مرة كيف انه ترك محل عمله الرسمي بدون اذن في ٥ شباط عام ١٩٥٦ ليسافر مع ادباء وفنانين من اصدقائه الى بور سعيد حيث تدور معركة قناة السويس ايام العدوان الثلاثي على مصر .

وترك يوسف ادريس ممارسة الطبابة بعد انتهاء العدوان الثلاثي على مصر اذ وجد في الكتابة وسيلته الخاصة في الحياة والكفاح .

وهو متزوج وله اطفال . وقد مر بازمة نفسية عام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ اضطرته الى دخول المستشفى والعلاج النفسي لفترة غير قصيرة . كما عولج خارج مصر ايضاً . وكان اثناءهـا مجهداً ونصحه اطباؤه بتجنب الارهاق ومقابلة الناس من الزوار . ومـع ذلك ، فقد صـرح للصحفيين الذين زاروه بما يجول في فكره من آراء ومناقشات . ويلاحظ المدقق انه خلال تلك الفترة عانى من عدم صفاء الذهن ، والغموض وعدم التناسق في الاقوال .

وفي عام ١٩٧٧ ـ عيد ميلاده الخمسين ـ اثناء حفلة تكريم اقيمت له ، علق على المناسبة قائلاً : «ان اعظم تكريم يناله مثلي ان لايكرمني احد ....» .

آثاره الأدبية

بدأ يوسف ادريس الكتابة بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ وله (قصة حب) ظهرت قبل ذلك بعام . ويمر بفترة من الحلم والتأمل العميق ثم يبدأ بكتابة قصته او روايته . ويقول إن تدوين القصة بعدئذ لايأخذ منه ساعة او ساعتين على الاكثر ، بينما تستغرق عملية التأمل والاعداد لها فترات طويلة . اما المسرحية فتستغرق اسبوعاً من الكتابة وربما سنوات من التفكير .

المجموعة القصصية الاولى له صدرت عـام ١٩٥٤ بعنوان (رخص ليـالي) ، وتتابعت قصصه ومقالاته الادبية ورواياته في الصحف والمجلات ثم بشكل مجاميع او مجلدات متكاملة مثل (بيت من لحم) و (حادثة شرف) و (آخر الدنيا) و (لغة الآى آى) .

اما رواية (الحرام) فقد نالت جائزة الكتاب الفضي لعام ١٩٥٩ وتصور اختلاف القيم في مجتمع ريفي ، كما مثلت على الشاشة ـ بطولة فاتن حمامة ـ .

وحازت رواية (العيب) على جائزة الكتاب الذهبي لعام ١٩٦٢ وتصور اختلاف القيم في مجتمع حضري . فهي الوجه الآخر لرواية الحرام . وقد مثلت على الشاشة ايضاً .

وكتابه (بصراحة غـير مطلقـة) ـ عام ١٩٦٨ ـ يضم مجمـوعة منتخبـة من مقالاتـه القصيرة وانطباعاته وتعليقاته حول امور الحياة والفن والقصيدة .

وكتب مسرحية (المهزلة الارضية) التي تبحث في الحقيقة ومعناها لانه يرى الفنان اشد

وانفذ رؤية من السياسي . اما مسرحية (الفرافير) فكانت ذات مضمون سياسي قضايا الحرية وسجانها وجلاديها ، فمنعت من العرض في القاهرة . وهي أيضاً من المجتمع الريفي المصري .

وتتناول مسرحية (جزيرة الذهب) الصراع بين العربي كإنسان يتطلع الى مجتمع افضل لكن قوى كثيرة تتألب عليه وتسلبه ارضه . وتوضح المسرحية قرصنة واغتصاب الصهيوني الذي يسرق ارضاً ليست ملكه . ومع ان مضمون المسرحية سياسي ملتزم فان يوسف ادريس يقول انها غير سياسية بل عرض للقضية العربية بصور جديدة تختلف عن سابقاتها .

ومسرحية (المخططين) كتبها في جو سياسي متأزم ومنعت من العرض كذلك . وفي كلتا المسرحيتين آنفتي الذكر يلجأ يوسف ادريس الى الخيال والتجريد الرمزي بدل الواقعية التي اتسمت بها رواياته الاولى . وتتضح الرمزية في قصصه (النداهة) و (أكان لابد ..) و (يالي .. لي ..) و (ان تضيئي النور) و(العصفور والسلك) ..

وبلغت كتبه حوالي الثلاثين ، عدا المقالات والتحقيقات الصحفية والادبية والندوات والمؤتمرات .

فكر يوسف ادريس

لاجدال ان يوسف ادريس كان يغرف من منبع اصيل وغزير ليكتب ، وكان هذا المنبع قريته وفلاحيها والارض العزيزة . فالقرية هي «وحدة التكوين» الحقيقي للمجتمع المصري (والعربي) . ويعالج امور الحياة بنظرة الفنان الثاقب ، ويحاول ان ينفي انه سياسي بالرغم من تطرقه ونقده الصريح لبعض الظواهر السياسية في عصره .

ويعتبر يوسف ادريس ان انتاجه هو مسح واستكشاف للحقيقة ، وانه يكتب بدافع داخلي تلبية لدعوة وجدانية ذاتية وليست من الغير . وهو يكتب بعدم تكلف وبدون «تخطيط تكتيكي» كما يفعل بعض الشباب الكتاب الذين يصنعون التكتيك في مقدمة الصنعة او الهيكل الاساس لبناء القصة . لهذا يصر يوسف ادريس على انه هاو بالرغم من غزارة انتاجه وتركه الطبابة واعتماده على الكتابة كوسيلة للعيش .

كل ذلك لايعني انه يكتب بدون هدف ، لانه يؤكد مراراً على ضرورة وجود هدف ورسالة لكل اديب وكاتب مع نظرة للحياة دون فقدان الطابع او المذاق الشخصي . ويعتقد ان الايمان بالانسان والبحث على جوهره الاصيل النقي ـ كما يفعل هو ـ يبعده عن الطبقية والتحيز وفي التحليل والتفكير . ولكنه لم يسلم من نظرته التشكيكية في ظواهر الحياة ومن التشاؤم الذي يتخلل كثيراً من قصصه ورواياته . ولعله يتشاءم حتى في لحظات الفرح والتفاؤل التي يمر بها

الناس ، وبالعكس يتفاعل في اوقات تشاؤمهم ربما لرغبة دفينة في تنبيههم الى بعض مافاتهم من ملاحظات .

ويستند يوسف ادريس في قصصه الى خلفية من (الحكايات) العربية والمحلية ـ اي الشكل العربي الاصيل . فكتاباته تهدف اذا الى تغيير وتطوير المجتمع وهو يعتقد فعلاً ان عظمة الكاتب هي في ان يغير ويتغير .

ويجد في المسرح وسيلة اوسع مدى للتغيير الذي يريده الفنان . ولذلك ينتقد (بريخت) لانه يخاطب العقل فقط من خلال مسرحياته بينما هو يخاطب الوجدان اضافة الى العقل وهي طريقة ناجحة مع الفرد العربي .

ولايميل يوسف ادريس الى ضرورة تصنيف القصة الى قصيرة او طويلة بل بدرجة تأثيرها في القارىء من خلال عنصرها الفني وقوته التي تنعكس في نفسية القارىء الى نزعات حضارية .. والى الارتقاء . ويخلص من ذلك الى ان القصة ثورة ، والثورة تصنع الانسان . لذلك يزن يوسف ادريس ادبه بمثابة «البحث عن الحرية» ..

وهو يلوم المثقفين المصريين الذين لم يكتبوا بأسلوب مبسط يوضح معنى الاشتراكية ومعنى الثورة . وينتقد الكتاب الذين يكتبون لاجل الكتابة والادباء المتباكين الذين يتحدثون عن معاناتهم وثوراتهم ويزهون بقدراتهم . كما ويحث الفنانين والكتاب دوماً على الاستزادة من الثقافة ويرى ان الواقع هو المنجم الذي لاينضب من كنوز وخام مادة الكتابة : كل شيء يأتينا من الشارع ... حتى الميتافيزيقيا» .

ويعالج يوسف ادريس قضايا الجنس والمراهقة والشذوذ والعقد النفسية والاعتبارات والتقاليد الدائرة في مجالها كما يتضح ذلك في قصص وروايات (كوى المدينة) التي تدور عن القاضي العجوز وعلاقته الغريبة مع خادمته الصبية ، و (العيب) و (الحرام) ...

ويبلور يوسف ادريس رأيه في القصة العربية بانها بدات تحتل مكانها في الأدب العالمي لو تم اختيار الجيد منها وترجمتها الى اللغة العربية وان القصة والرواية عموماً تمران في عصرها الذهبي في النصف الثاني من القرن العشرين . ونادى لانشاء مسرح عربي ـ مصري غير مرتكز او تابع للمسرح الاغريقي او الشكسبيري ، فهاجمه كثيرون . ويعلق على ذلك بقوله : «كلهم وقفوا ضدي : محمد مندور .. ، علي الراعي ، لويس عوض .. ، عبد القادر القط .. ورشاد رشدي» . ولا غرابة ان يجد المعارضين والناقدين الا ان كتاباته مرت بأزمات المقاومة والرقابة .. وذاق هو السجن والابعاد والارهاق العصبي .

ادب يوسف ادريس العالمي

اطلع يوسف ادريس على اهم النتاج الادبي العربي والعالمي في القصة والرواية ، ويظن بان ادباء الغرب وخاصة المستشرقون قد جنوا على ادباء العرب واحاطوهم باسلاك شائكة ، وان الأديب العربي مجهول في وطنه : «نعيش غرباء ، لايعترف بنا الا بعد الموت .. ، مثلما اعترفوا بعدئذ بالسياب او بغسان كنفاني ..» . ولهذا الرأي نقاش وحوار .. فالمهارة هي الا يقع الاديب العربي الفطن في اسلاك الادب الاجنبي بل ان يوسع افاقه ويربي في ذاته حاسة الاختيار والنقد والتمحيص . كما ان اكتشاف موهبة الاديب بعد مماته قد تكون بحكم التطور الفكري في تلك الحقبة من الزمن وليست عداء او اهمالاً متعمداً له ...

ومن ذلك ، فان اديباً مثل يوسف ادريس ومكانته في العالم العربي لم تنحصر في نطاق ضيق ، بل نقلت بعض من كتبه الى اللغات الاجنبية ومنها الروسية مثل قصص (قراءة في العيون المغمضة) و (شيخ الكرم) و (العراء) التي ترجمها الاديب الروسي (يارماكوف) وآخرون . وعندما ترجمت رواية (الحرام) الى الروسية طبع منها ما يقارب المليون نسخة وهو رقم لايحلم به اي مؤلف عربي داخل وطنه كما اعترف يوسف ادريس نفسه بذلك .

وكانت المجموعة القصصية الاولى (ارخص الليالي) قد ترجمت الى الانكليزية في اواخر عام ١٩٧٨ من قبل (وديدة واصف) بعد حذف قسم منها واضافة قصص اخرى من مجموعات اخرى لتقدمها الى منظمة اليونيسكو كنموذج للانتاج القصصي العربي .

وقد زار اقطاراً عربية واجنبية منها العراق ... وحضر مهرجان المربد الشعري الثالث عام ١٩٧٤ .

ولايزال يشعر بأن ما يشغله هو الشيء الذي لم يكتبه او ينشره بعد ، وليس الذي انتهى من كتابته .

(محمد صبحي ابو غنيمة)

من اطباء الاردن المعاصرين ، درس الطب في المانيا في جامعة برلين واهدى كتابه (من الاعماق) الى استاذه العلامة الشهير الدكتور ويلهلم هيس Hiss اعترافاً بفضله عليه وعلى العلوم الطبية اذ هو الذي اكتشف الحزمة العصبية في القلب المعروفة باسمه (حزمة هيس) .

واتقن الدكتور ابو غنيمة عدة لغات اوربية ، وفي عام ١٩٢٤ وهو في برلين كان يتابع التطورات السريعة التي يمر بها الوطن العربي وآثار جراح (ميسلون) ، فاصدر مع جماعة من

الشباب مجلة (الحمامة) نشروا فيها روائع من الأدب الغربي وكان منهم : كامل عباد ، وسعيد فتح الامام . لكن المجلة كانت مليئة ايضاً بمقالات وطنية عن قضايا الامة العربية . فصودرت المجلة في فرنسا بدعوى انها مأجورة للالمان ، ثم صادرها الالمان بدعوى انها مأجورة للفرنسيين .. وهكذا لم يصدر منها الا بضعة اعداد .

وكان واسع الاطلاع ، مثقفاً مسامراً الحديث ، متواضعاً بسيطاً طيب الخلق يخدم ضيوفه بنفسه ، ويستشهد في احاديثه بابيات الشعر .

اشتهر بمقالاته القصيرة الممتعة المتنوعة (اليوميات) والتي كان ينشرها في جريدة (الايام) السورية ، ثم جمع ابرزها في كتابه (من الايام) وقدم لها الكاتب والمؤرخ شفيق جبرى ـ من منشورات دار الثقافة . وتجمع اليوميات بين الأدب والعلم والفن والاجتماع والطب .

وفي كتابه (نظرة في اعماق الانسان) الجزء الاول عام ١٩٥٨ يتعمق الدكتور محمد صبحي في قضايا الطب وفلسفته واحواله ويتحدث عن اسرار الكائن الحي والروح ، وقصة الوجود . ويبين باسلوب ساحر وجذاب ان الانسان عدو ما يجهل كما يتضح في عداء الجماهير (او ذوي المصالح فيهم) للعلم والعلماء . كما يتحدث عن الدواء والموت واجهزة الجسم ونظريات الاطباء ...

وله كتاب آخر بعنوان (الجهاز المجهول) وهو جهاز النفس حيث يجول بخواطر وملاحظات عن عالم الطب المجهول . ويستشهد بقول الفيلسوف (لايبنتز) ، «أواه لو تفلسف الاطباء ... ولو تطبب الفلاسفة» . و «الجسم كل لايتجزأ» .

ترجم لشعراء المان وفرنسيين وتصرف في النص لمراعاته القافية . وكان يراسل ويصادق اساتذته في المانيا . ومن زملائه وخلانه العرب الاستاذ شفيق جبرى واسعاف النشاشيبي والاديب سامي الدهان .

قال عنه شفيق جبرى : «استطاع الدكتور ابو غنيمة من وراء العلم الوصول الى اعمق الاشياء كما استطاع ان يتحصن بها فيضرب اشد الضربات في سنين صادروا فيها الكتابة على السنتهم . ولم يقتصر في بسط النظريات العلمية لسهولة فنه لان النقص يذهب برونق الافكار . فهو لايعيش على سطح المريخ بل على وجه الأرض ومع الناس .. ، ولذلك نجحت : «يومياته» لانها صادفت هوى في افئدتهم ...» والحقيقة ان كتاباته تدل على تبحره في علوم الطب والنفس والفلسفة والادب والتاريخ ، وخوارق واعاجيب المتطببين .

وكان يقول «انا طبيب الادباء ... واديب الاطباء ..» لأنه اذا جلس بين زملائه الاطباء اعتبروه اديباً .. واذا جلس بين زملائه الادباء اعتبروه طبيباً !

قضى سنوات في سوريا وهو سفير للأردن في القطر السوري الشقيق وكان ذلك في اوائل السبعينات من هذا القرن .

(نوال السعداوي)
الباحثة ... والروائية ...

طبيبة مصرية ، متزوجة ولها ابنة وابن . بعد حصولها على بكالوريوس الطب عملت فترة في قسم الطب النفسي في كلية طب جامعة عين شمس ، ولم تستمر هناك او ربما لم يرق لها اسلوب العمل في القسم . لكنها استمرت في دراسة وقراءة المصادر والبحوث في مجال علم النفس والطب النفسي . وهي تعتبر نفسها طبيبة نفسية .

والطب النفسي هو الذي حفزها على الكتابة اذ تقول : ان الادب والقصة والرواية هي تشريح نفسي للناس والمجتمع . «اما الطب عامة كما هو بمنهاجه الحالي فتعتقد انه عقيم لانه اسير الاساليب التقليدية ، فاذا اقتصر الطبيب على ذلك فانه لن يكون اديباً مالم يتوفر لديه الحافز الذاتي للاستزادة من الثقافة والبحث والاستقصاء .

عندئذ فقط يكون الطب مساعداً وسنداً للطبيب الاديب . وتعتقد الدكتورة نوال السعداوي ان الكتابة الجيدة تحتاج الى تفرغ اذ من الصعب الجمع بين الطب والكتابة ، كما تصرح ان «العلم يفسد الفن» وسنجد من خلال كتاباتها ماينافض هذا الحكم القاسي .

والدكتورة نوال لاتؤمن بالعيادات الطبية الخاصة ، لذلك لم تمارس الطبابة بهذا الاسلوب ، بل كانت تقدم الاستشارات الشخصية في دارها فقط او بالمراسلة . وكانت الاستشارات النفسية ـ الاجتماعية تلك مصدراً غنياً لكتاباتها . وفي نظرها ان العيادات الطبية الخاصة تستند على نظام وعلاقات ذات طابع تجاري وتتمنى لو وجد نظام آخر يقلب العلاقة مابين الطبيب والمريض يطورها الى الطابع الانساني البحت .

وتكتب الدكتورة نوال في قضايا اجتماعية ونفسية ، وفي الادب الروائي والقصصي اضافة الى مقالاتها في الصحف والمجلات الاسبوعية مثل (الصحة) و (صباح الخير) ..

انتاجها الأدبي :

اكتسبت نوال السعداوي شهرتها ورواج بعض كتبها (ذات المواضيع الجنسية)

لاتسامها بالصراحة والجرأة وطرق الموضوع دون مواربة او اطالة . ويلاحظ في كتاباتها التعصب الانفعالي للمرأة ومهاجمة لجنس الرجال باعتبارهم سبباً في عبودية المرأة وامراضها النفسية وكبتها . كذلك يلمس المتتبع في كتابها (الانثى هي الاصل) و (المرأة والجنس) افكار الكاتبة الفرنسية (سيمون دي بوفوار) واضحة كما جاءت في كتابها (الجنس الآخر) لكنها مكتوبة باسلوب آخر . ومدار حديثها هو مشاكل الجنس لدى المرأة والرجل ممزوجاً بكثير من الثورة على الرجل وبشيء من الحقد عليه ولو انها تنفي ذلك وتقول انها تعطف على كلا الجنسين وتتمنى لهما الوفاق والنجاح سوية . لذلك فهي ليست «عدوة الرجل» . بل تحب كلا الجنسين وتشفق على حياتهما الراهنة . وهي لاتؤيد الجماعة النسوية التي تطالب باستقلال المرأة عن الرجل لانها تعتقد ان عالم الرجل مكمل لعالم المرأة ويرفدها بالحياة والحيوية ، لكنها تروم فقط تحرير المرأة من استغلال الرجل .

ان المبدأ والفلسفة التي تتبعها نوال السعداوي في كتاباتها عن الرجل والمرأة لاترتبط بمدرسة معينة في علم النفس فهي «انتقالية» او «تجميعية» وربما ستكون خاصة بها وبدون هيئة معينة لانك تجد فيها افكاراً ماركسية ووجودية وفرويدية وسلوكية ، كما تجد احياناً هجوماً ونقداً على الفرويدية وعلى نظريات راسخة في علم النفس ...

ومن مؤلفاتها :

(مذكرات طبيبة) عام ١٩٦٥ من سلسلة (اقرأ) العدد ٢٧٣ وفيها خواطر وملاحظات عن الطب والناس ...

و (امرأتان في امراة) نشرتها دار الآداب البيروتية وكانت قد نشرت سابقاً تحت عنوان (الباحثة عن الحب) ، وهو ماتؤاخذ عليه الكاتبة (او دار النشر) لان تغيير العنوان ورّط كثيراً من القراء الذين اقتنوها اكتشفوا انها الرواية القديمة ذاتها بالنص . والرواية عاطفية تدور عن الحب وباسلوب السرد الذاتي (شخص المتكلم) .

ثم نشرت سلسلة متتابعة من الكتب بعنوانين (المراة والجنس) ثم (الانثى هي الاصل) و (الرجل والجنس) و (المرأة والصراع النفسي) . وكما ذكرنا فان كتاباتها عن الجنس خليط من ملاحظات شخصية ونظريات لعلماء نفس متفرقين .

أما كتاب (المرأة والصراع النفسي) فيستوجب التعليق هنا لانه بالحقيقة مجموعة انطباعات واستنتاجات شخصية وليس بمستوى الدراسة العلمية الموضوعية الدقيقة المتعارف

عليهـا في الاوساط والمجـلات العلمية . وتستنـد المعلومات الى مجمـوعة من المـريضات او «صاحبات المشاكل» اللواتي راجعن الدكتورة نوال فبنت عليها نظريتهـا في الصراع النفسي الذي تعانيه . وفي نظري انه لايوجد شيء جديد فيما طرحته المؤلفة لان الصراع النفسي وعلم الاجتماع ظاهرة قديمة ومعروفة في اوساط الطب النفسي وعلم الاجتماع وهي اساس نظرية فرويد وغيرها .

اما رواية (اغنية الاطفال الدائرية) ـ من منشورات دار الآداب عام ١٩٧٨ فهي غريبة نوعاً ما وتكشف خبايا «احلام يقظة» من اتجاهات المؤلفة في تحليل نفسية الطفل والانثى ، لذلك سنتناولها ببعض النقد . الرواية سرد قصصي من اول صفحة حتى آخـرها تخلو من فصول (فهي فصل واحد) وتكون بمجموعها حلماً او كابوساً مشوشاً تتركز فيه غرائز ومشاعر مكبوتة جنسية المضمون فرويدية الاتجاه ، وتدل على شعور المرأة بالاضطهاد من قبل الرجل . وهو تعبير عن «عقدة الخصاء» وعن «السادية» التي ذكرها فرويد في نظريته الجنسية .

ومن ينتهي من قراءة الرواية لايمكن ان يؤمن ان الدكتورة نوال السعداوي تعطف فعلاً على الرجل والمرأة سوية . لان الثورة الناقمة والشعور بالقهر والاضطهاد هو المنطق البارز للرواية ..

ومن المؤلفات الجديدة الاخرى للدكتورة السعداوي : (موت الرجل الوحيد على الارض) و (امراة عند نقطة الصفر) . وهي تنشر كتبها في لبنان وتجنبها لمشاكل الرقابة في مصر ، وتقول انها لاتعرف تماماً مواردها من الكتب لانها تحت رحمة الناشرين وهي بعيدة عنهم .

وتعمل الدكتورة نوال حالياً ـ وحتى عام ١٩٧٩ ـ في (مركز المرأة للبحوث) في افريقيا التابع لهيئة الامم المتحدة ومركزه اديس ابابا في اثيوبيا . وكانت قد دعت الى تأسيس حزب نسائي في مصر ايمانا منها بان الحرية الجنسية متوازية ومناظرة للحرية السياسية . اي ان تحرير المرأة يكون كلياً : سياسياً واجتماعياً ، واقتصادياً ، وان المراة مضطهدة ولايمكنها تحقيق حريتها عن طريق الجمعيات النسائية والتربوية الا بالتنظيم الحـزبي النسائي . ولا ادري لمـاذا لم تلتفت الى «اتحادات النســاء» وتنظيمـاتها وتـأثيرهـا في الحياة السيـاسية والاجتماعية للمرأة .

هذا ، وحيث ان الكاتبة في البداية .... فسنسمع عنها الكثير ...

والدكتور داؤد الجلبي

(١٨٧٧ ـ ١٩٦٠) ، هو داؤد بن سليم بن احمد محمد الجلبي ، ولد في مدينة الموصل

وتلقى اول تعليمه في مدرسة الدومينيكان بالموصل في عهد الحكم العثماني . سافر الى استانبول بعد انهاء دراسته الثانوية ودخل كلية الطب العسكرية ليتخرج فيها بدرجة ممتاز ، وكان الأول على اقرانه حينذاك (١٩٠٩ م) .

اسس نادي القلم في الموصل سنة ١٩١٨ ، واشترك مع المربي ساطع الحصري في تأسيس جمعية الثقافة العربية ببغداد ، واشترك في هيئة ادارة الجمعية الطبية بالموصل عام ١٩٢٤ ، وكان لفترة نائب الموصل في البرلمان العراقي ، ومثل العراق في مؤتمرات علمية وأدبية . انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجمع العلمي العراقي ، والمجمع اللغوي في القاهرة . وكان عضواً مراسلاً للمجامع العلمية تلك . تضم مكتبته على مايزيد على ٦٥٠٠ كتاباً منها ٣٢٧ مخطوطاً . وقد الحقت مكتبته بعدئذ بمكتبة اوقاف الموصل .

ومن آثاره الفكرية : كتاب (مخطوطات الموصل) و (الاثار الارامية في لغة الموصل العامة) و (الطبيخ) و (الفنديدات) مترجم عن الفرنسية و (كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل) و (رسائل غير مطبوعة للجاحظ واخرى لابن فارس) و (اصلاح حروف دائر) ـ باللغة التركية . و (رسالة طبية للرازي) و (اقتراح الى مجمع اللغة العربية في القاهرة لتيسير القراءة والكتابة العربية) .

وظل يمارس الطبابة ، وكان احد اعلام الاطباء المعدودين في الموصل الى ان اقعده المرض والشيخوخة عن ذلك .

والدكتور هاشم الوتري

(١٨٩٣ ـ ١٩٦١) : ولد في بغداد وتخرج في المدرسة الطبية في استانبول سنة ١٩١٨ . كان استاذ الطب الباطني في كلية طب بغداد واصبح عميداً للكلية مرتين . اسهم في تخطيط الجهاز الصحي والتعليم الطبي في العراق ، وكان رئيس الجمعية الطبية العراقية ، وعضواً في المجمع العلمي العراقي .

من آثاره : (تاريخ الطب في العراق و (ملخص كتاب الدراسات في دورة الكلية الدموية) و (مقالات في الطب العربي) و (محاضرات في الطب السريري) و (الامراض العصبية) و (الامراض الكلوية) و (درس في الاسعافات الطبية) و (الخدمات الصحية في العراق) ـ بالانكليزية .

والدكتور تجاني الماحي

ولد في السودان ودرس الطب في مصر .. عرف بفصاحته ونثره وقوة اسلوبه وسحر حديثه . كان موسوعياً مثقفاً . واختص بالطب النفسي وكتب المقالات والابحاث العلمية في هذا الموضوع . واهتم بتاريخ الطب العربي . ومن كتبه المعروفة التي تعتبر احد مصادر المكتبة العربية (مقدمة في تاريخ الطب العربي) .

ظل يمارس الطبابة ، وعمل فترة في منظمة الصحة العالمية ، ثم كلف بمهام وزارة الصحة السودانية في بداية حكم الرئيس جعفر النميري . ثم اعتزل الى ان توفي قبل سنوات .

والدكتور معمر خالد الشابندر

ولد في بغداد عام ١٩١٧ وتخرج في كلية طب بغداد عام ١٩٣٨ . وتخصص في الطب النفسي وكتب في القضايا النفسية الاجتماعية وتاريخ الطب . شارك الدكتور هاشم الوتري في اعداد كتاب (تاريخ الطب في العراق) ، وترجم عن الانكليزية : (امل جديد للمتخلفين عقلياً) عن والتر جاكوب ١٩٦٥ و (تمتع بطفلك في سنواته الثلاث الاولى) عن ج . هايمزو (جسمك هذا العجيب الفريد) عن روبرت فوليت و (الدفع بعدم المسؤولية بسبب الجنون في جرائم القتل) عن جي . كيتون و (نحو علاقات انسانية افضل في البحث الاجتماعي) عن لويس فريمان و (طفلك وسلامته) عن هـ . ديتريش . ومن مؤلفاته الاخرى : (الامراض النفسية الشائعة) و (علم النفس في الحياة اليومية) و (معجم المصطلحات الطبية) و (العناية بالحامل والجنين) . وظل الدكتور الشابندر يمارس الطب النفسي لحين وفاته قبل سنوات .

والدكتور يحيى الرخاوي ، استاذ الطب النفسي المساعد في جامعة القاهرة يكتب في النفس والأدب والاجتماع . لغته بسيطة واسلوبه تحليلي علمي يطلق عليه هو «الفن العلمي» . يطرح مسائل طريفة في الحياة والعقل ، ويكتب في الصحف والمجلات المصرية والعربية . من مؤلفاته : (عندما يتعرى الانسان) ١٩٧٢ وهو مجموعة صور حية ونماذج من عيادته الخاصة . و (حيرة طبيب نفسي) ١٩٧٢ يصرح فيه تساؤلات كثيرة في النفس والسلوك والحياة . واشترك مع مؤلفين آخرين في تأليف (مبادىء الامراض النفسية) و (تمريض الامراض النفسية) و (علم النفس تحت المجهر) وله كتابان آخران في اللغة الانكليزية عن علم النفس والطب النفسي .

ويعتبر الدكتور الرخاوي ان كتاباته الاولى كانت رحلة فكرية نحو مرحلة اخرى هي «الفن العلمي» . ومنها محاولته لوضع ديوان شعر (سر اللعبة) يورد فيه اهم قضايا علم النفس

المرضي شعراً ، ورواية على نفس النسق من جزئين اسماها «المشي على السراط» يتطرق فيها الى مفهوم الجنون والعلاج النفسي الجماعي .

والدكتور عارف صدقي الطرقجي الاستاذ السابق في الجامعة السورية بدمشق ، كان يدرس مادة الطب الشرعي في كلية الطب .

وكان واسع الثقافة محدثاً وكاتباً . كتب عن ادب الطبيب وسلوك المهنة وتاريخ الطب . ومن كتبه (ادب الطبيب ..) .

والدكتور عبد اللطيف البدري) ، جراح واستاذ في كلية طب بغداد ، كان عميداً لكلية الطب ثم وزيراً للصحة ثم رئيساً لجامعة بغداد . اصدر مجلة (رسالة الطب) عام ١٩٥٢ ، وكتب المقالات العلمية والتاريخية . اشترك في تأليف (المعجم الطبي الموحد) مع مجموعة من الاساتذة الاطباء واللغويين مثل الدكتور محمود الجليلي والاستاذ حسني سبح والدكتور احمد عبد الستار الجواري . من مؤلفاته الاخرى (الالات الجراحية عند العرب) ١٩٦٦ و (مصطلحات علم الجراحة والتشريح) و (تاريخ الطب عند العرب) ١٩٧٨ . و (التشخيص والانذار في الطب الاكدي) و (من الطب الاشوري) ١٩٧٦ .

والدكتور داؤد سلمان علي الاختصاصي بامراض الاذن والانف والحنجرة ، اصبح عميداً لكلية طب بغداد ، ومدير عام الدائرة الطبية في وزاة التعليم العالي العراقية . ثم أميناً عاماً لاتحاد كليات طب الشرق الاوسط . له دراسات دقيقة في التعليم الطبي ، ومقالات متفرقة ادبية وعلمية وتاريخية . ترجم كتاب (الطب العربي) سنة ١٩٦٤ لمؤلفه (ادوارد ج براون) وله كتاب تربوي عن (كيف تتعلم الطب) .

والدكتور مصطفى شريف العاني اختصاصي امراض العيون كتب في الأدب الطبي والتاريخ والشعر والتراث . وله دراسات في تلك المواضيع .

والدكتور عمر النصر (السوري) الشاعر صاحب ديواني (كانت لنا ايام) و (الليل في الدروب) ..

والدكتور حسن كامل حسين (المصري) طبيب امراض العظام والكسور المعروف ومؤلف عدد من الاعمال مثل (قرية ظالمة) وغيرها ..

وختاماً ، ارجو المعذرة اذا نسيت زملاء آخرين .. ولاشك اني نسيت الكثير ...

من مصادر الكتاب

آ ـ الكتب :

١ . ابن ابي اصيبعة ، (عيون الانباء في طبقات الاطباء) ، ط ١ ، المطبعة الوهبية ، ١٣٩٩ هـ .

٢ ـ ابن جلجل ، (طبقات الاطباء والحكماء) ، تحقيق فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٣ ـ اتشلي ، دانا (الطبيب معالجاً وعالماً) ، ترجمة محمد كامل حسن ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ .

٤ ـ ابن خلكان ، (وفيات الأعيان) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ٦٨١ هـ .

٥ ـ ابن خلدون ، (المقدمة) ، طبعة الاوفسيت ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٦ ـ ابن سينا ، (القانون) ٣ اجزاء ، بالاوفسيت عن طبعة بولاق ، دار صادر ، بيروت ،

٧ ـ ابن سينا ، (الاشارات والتنبيهات) ، تحقيق سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر .

٨ ـ ابن سيده ، (المخصص) .

٩ ـ ابن النديم ، (الفهرست) ، جزءان ، طبعة القاهرة ، ١٩٧٤ .

١٠ ـ ابن منظور ، (لسان العرب) ، دار صادر ، بيروت .

١١ ـ ابن القفطي ، (اخبار العلماء باخبار الحكماء) ، دار الاثار ، بيروت

١٢ ـ احمد زكي ابو شادي ، (مملكة العذارى) ، سلسلة اقرأ (٦٦) ، ١٩٤٨ .

١٣ ـ احمد شوكت الشطي ، (تاريخ العرب وآدابه واعلامه) ، مطبعة طربين ، ١٩٦٧ .

١٤ ـ احمد عيسى بك ، (معجم الاطباء) ، جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ، ١٩٤٢ .

١٥ ـ احمد عيسى بك ، (تاريخ البيمارستانات في الاسلام) ، مطبعة الهاشمية ، دمشق .

١٦ ـ البيهقي ، (تاريخ حكماء الاسلام) ، طبعة دمشق ، ١٩٤٦ .

١٧ ـ تجاني الماحي ، (مقدمة في تاريخ الطب العربي) ، الخرطوم) ، ١٩٥٩ .

١٨ ـ الجاحظ ، (كتاب الحيوان) ، المطبعة الكاثوليكية) بيروت ، ١٩٢٨ .

١٩ ـ جلال العشري ، (مصطفى محمود شاهد على عصره) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ .

٢٠ ـ جورجي زيدان ، (تراجم مشاهير الشرق) ، دار التراث ، بيروت .
٢١ ـ حاجي خليفة ، (كشف الظنون) ، استانبول ، ١٩٤١ .
٢٢ ـ حكمت نجيب ، (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب) ، جامعة الموصل ، ١٩٧٧ .
٢٣ ـ حنين بن اسحق ، (كتاب المولدين) ، تحقيق يوسف حبي ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٧٨ .
٢٤ ـ الحموي ، ياقوت ، (معجم الادباء) ، مطبوعات دار المأمون ، مصر .
٢٥ ـ الدينوري ، (عيون الاخبار) ، مجلدان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٢٥ .
٢٦ ـ السيوطي ، جلال الدين (الجامع الصغير) ، فيض القدير لمحمد المدعو بالمناوى ، بيروت ، ١٩٧٢ .
٢٧ ـ شيللر ، فردريك (الحب والدسيسة) ، ترجمة حسن صادق .
٢٨ ـ الرازي ، محمد بن زكريا (الحاوي) ، مطبوعات دائرة المعارف العيمانية ـ حيدر آباد ، ١٩٥٨ .
٢٩ ـ الرازي ، محمد بن زكريا (رسائل فلسفية) ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٧ .
٣٠ ـ صالح جودت ، (ابراهيم ناجي ، حياته وشعره) ، المجلس الاعلى للفنون والآداب ، القاهرة .
٣١ـ الطبري ، علي بن ربن (فردوس الحكمة) ، برلين ، ١٩٢٨ .
٣٢ ـ الطبري ، ابو جعفر جرير (تاريخ الامم والملوك) ، القاهرة ، ١٩٣٩ .
٣٣ ـ عباس محمود العقاد ، (الشيخ الرئيس ابن سينا) سلسلة اقرأ (٤٦) ، ١٩٤٦ .
٣٤ ـ عبد الحميد العلوجي ، (تاريخ الطب العراقي) ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٧ .
٣٥ ـ عبد السلام العجيلي : جملة مؤلفات : (اشياء شخصية) ، (السيف والتابوت) ، (دعوة الى السفر) ، (حكايات من الرحلات) ، (حكاية مجانين) ، (عيادة طبيب) ، (الخيل والنساء) ، (احاديث العشيات) ...
٣٦ ـ فخري الدباغ ، (ادباء الاطباء ـ جورج ديهاميل) ، العربي الكويتية ، شباط ، ١٩٦٨ .
٣٧ ـ فخري الدباغ ، (فريد ريك شيللر)، الاقلام ، كانون الثاني ، ١٩٦٩ .
٣٨ ـ فخري الدباغ ، (اكسل منته) ، العربي الكويتية ، تموز ، ١٩٧٣ .

٣٩ ـ الآلوسي ، محمود شكري (بلوغ الأرب) ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٢٤ ، شرح وتعليق محمد بهجت الآثري .

٤٠ ـ محمد الخليلي ، (معجم ادباء الاطباء) ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٩٤٦ .

٤١ ـ محمد صبحي ابو غنيمة ، (نظرة في اعماق الانسان) ، ١٩٥٨ .

٤٢ ـ محمد كامل حسين ، (الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ـ جامعة الدول العربية .

٤٣ ـ محمود دياب ، (الطب والاطباء في مختلف العصور الاسلامية) مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

٤٤ ـ محمود الحاج قاسم ،(الموجز لما اضافه العرب في الطب)، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٤ .

٤٥ ـ مصطفى محمود ، (مجموعة المؤلفات الوارد ذكرها في الكتاب) .

٤٦ ـ المعارف الاسلامية ـ دائرة .. ، المترجمة عن الانكليزية .

٤٧ ـ معمر خالد الشابندر ، (علم النفس في الحياة اليومية) ، بغداد ، ١٩٦٧ .

٤٨ ـ المجوسي ، (كامل الصناعة الطبية) ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٤٩ ـ المسعودي ، (مروج الذهب) ، طـ ٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ، ١٩٥٨ .

٥٠ ـ الموسوعة الذهبية ، باشراف محمد شفيق غربال ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٧١ .

٥١ ـ الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

٥٢ ـ المنجد في الاعلام ، ط ٢٢ ،دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٦ .

٥٣ ـ نجاتي صدقي (تشيخوف) ، سلسلة اقرأ (٥٠) ، ١٩٤٧ .

٥٤ ـ نوال السعداوي ، (مجموعة المؤلفات المذكورة في الكتاب ..) .

٥٥ ـ ويلز ، اج ، جي (الرجل الخفي) ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ .

٥٦ ـ يحيى الرخاوي ، (مجموعة المؤلفات المذكورة في الكتاب ..) .

٥٧ ـ يوسف ادريس ، (المؤلفات الكاملة) ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٥٨ ـ يوسف حبي ، (حنين بن اسحاق) ، بغداد ، ١٩٧٤ .

ب ـ مقتطفات ومقابلات وتحقيقات في الصحف والمجلات العربية التالية :

١ ـ المجلات العراقية : الاقلام ، آفاق عربية ، الف باء ، الجامعة ، بين النهرين ..
٢ ـ الصحف العراقية : الجمهورية ، الثورة ، العراق ، البلاد ...
٣ ـ العربي الكويتية .
٤ ـ الرسالة والثقافة ـ المصرية .
٥ ـ المقتطف ، الهلال ، روز اليوسف ، المصور ، صباح الخير ـ المصرية .
٦ ـ الدستور ، الاسبوع العربي ، الوطن العربي ..

ج ـ مراسلات شخصية مع :

١ ـ د . عبد السلام العجيلي
٢ ـ د . سعيد عبده
٣ ـ د . عمر الجارم
٤ ـ د . مصطفى محمود
٥ ـ د . نوال السعداوي
٦ ـ د . يحيى الرخاوي
٧ ـ د . يوسف ادريس

د ـ المراجع الاجنبية :

1 — Burke , W . J . & Hawe , W . D . (1962) . American Authors & Books . N . Y . ; Crown Publishers .

2 — Encyclopedia Britannica , (1966) .

3 — Egyptian Journal of Public Health . Various numbers .

4 — Park — davise , Therapeutic Notes , The Physian As a Writer . (1965 — 58) .

5 — Pearson , H . (1946) . Conan Doyle . London ; Guild Books .

آثار المؤلف

اطفالنا والثقافة الجنسية	١٩٥٦ (ترجمة) دار بيروت
الأطباء .. والناس	١٩٥٩ ، مطبعة الهدف ـ الموصل
الثورة الجنسية في امريكا	١٩٦٠ (ترجمة) مكتبة النهضة
الموت .. اختياراً	١٩٦٨ المكتبة العصرية ، بيروت
غسل الدماغ	١٩٧٠ دار لبنان ، بيروت
غسل الدماغ (منقح في جزئين)	١٩٨٢ دار الطليعة ، بيروت
اصول الطب النفساني	١٩٧٤ و ١٩٧٧ جامعة الموصل
جنوح الاحداث	١٩٧٥ جامعة الموصل
الحرب النفسية	١٩٧٩ وزارة الثقافة العراقية
خطوات على قاع المحيط (دراسات في خفايا علم النفس .	١٩٧٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت
العلاج النفسي	١٩٨٠ وزارة الثقافة العراقية
في ضمير الزمن (احاديث عن الناس والمجتمع)	١٩٨٠ وزارة الثقافة والاعلام العراقية
مقدمة في علم النفس	١٩٨٢ جامعة الموصل
اختبار رافن للمصفوفات المتتابعة القياسي العراقي	١٩٨٣ جامعة الموصل

علم النفس العسكري (بالاشتراك مع د. قيس عبد الفتاح مهدي) .١٩٨٦ جامعة بغداد / كلية الآداب



الفهرست

الموضوع	الصفحة









رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١١٤٨ لسنة ١٩٩٠



طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة



الاطباء .. الادباء

يجد القارئ في فصول هذا الكتاب استعراضاً لسيَر الاطباء الادباء ابتداء من التاريخ القديم وصولاً الى القرن العشرين،

يقول مؤلف الكتاب: ان اسهامات الاطباء في مجالات الشعر والقصة والمسرح والرواية تحتل جزءاً لايستهان به من الادب العالمي والذخيرة الفكرية للانسان منذ اقدم العصور وحتى يومنا هذا،

وبعد فالكتاب يعّرف بنماذج من الاطباء ـ الادباء وعلى اختلاف جنسياتهم واوطانهم، فالثقافة العامة هي السبيل الى معرفة مكانة الاديب العربي اضافة الى دوره الانساني كطبيب.

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف: رياض عبدالكريم

السعر.. ١,٧٥٠ دينار



بغداد ــ ١٩٩٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة